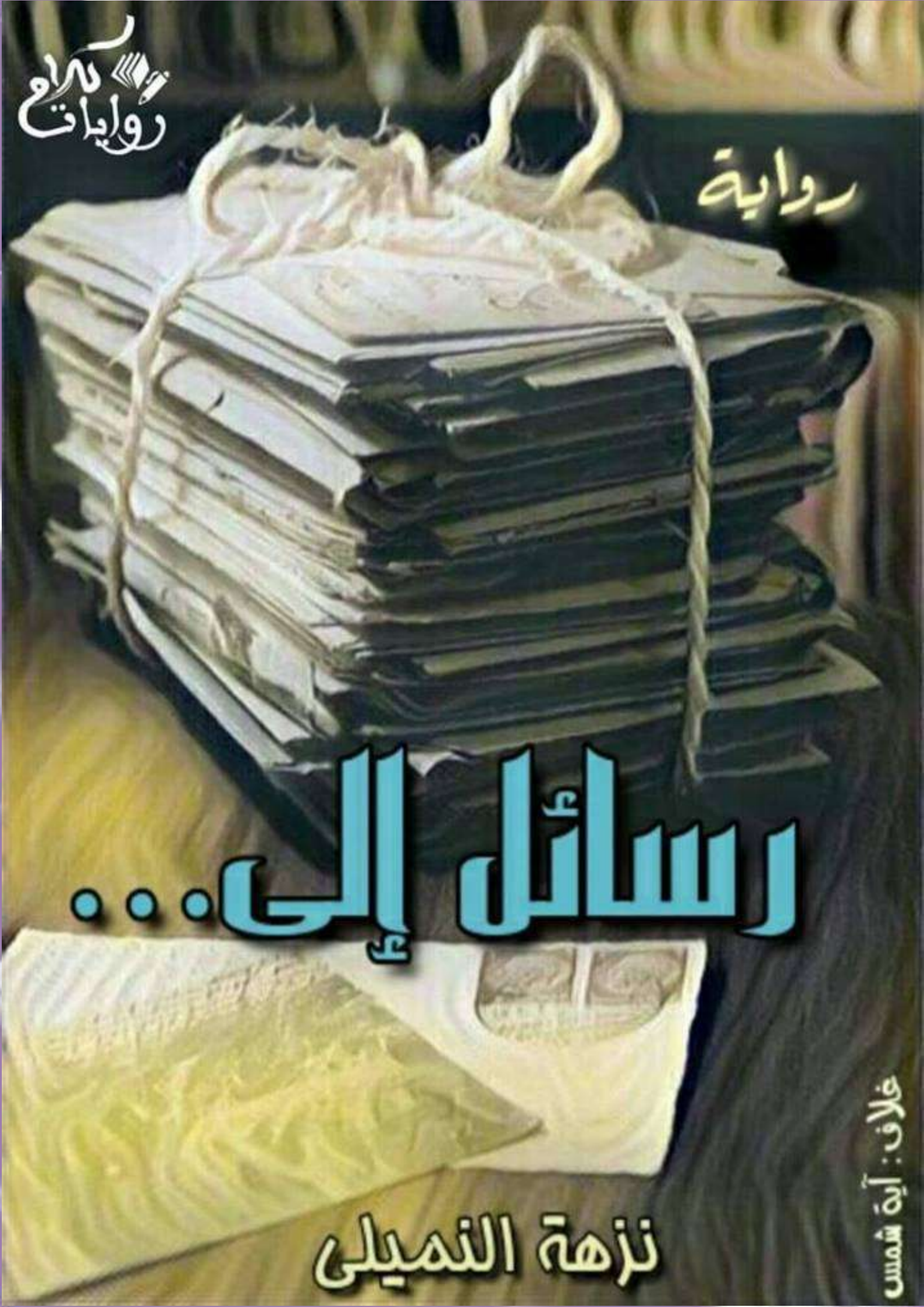
روايات
رواية
رسائل إلى...
نزهة النميلي
غلاف: آية شمس

رسائل إلى

رواية

نزهة النميلي

إهداء

إلى كل من ساندني وشجعني ولو بكلمة

إلى كل من وثق بقلمي ومنحني الدعم لأخط حروفي

إلى كل أفراد عائلتي كبارا وصغارا

إلى جروب كلام روايات وعضواته العزيزات من كاتبات وقارئات

الذي وجدت بينهم كل الدعم والتشجيع

تقديم

أحب أن أشير أن بعض الأحداث المسرودة في بعض المشاهد في هذه الرواية حقيقية جاءت على لسان أصحابها -إن صدقوا- وهي مأخوذة من مواقع استشارية وقد تمت معالجتها بأسلوب أدبي لتناسب أحداث الرواية.

مقدمة

لم يكن يعلم وهو يبتعد عن الجميع ويختار عزلة ارتضاها لنفسه ليعيد حساباته أنه سيقابلهم ..

هؤلاء الذين طحنتهم الدنيا بين كفي رحاها وأوصلتهم إلى طريق مسدود عجزوا عن العبور منه إلى بر الأمان ..

مشاكلهم وهمومهم أخذته من ذكرياته التي كانت تصر على مهاجمته في كل حين وتزيد من ألم روحه..

ربما هو لم يلتق بهم ولم يتعرف على أحد منهم سوى على الورق ومن بين أحرف كلماتهم الجريحة؛ كلمات غيرت من زاوية نظرته للأشياء وأرسلت إليه شعاع نور يوضح له الرؤية التي ظلت معتمة لسنوات ..

1

فتح النافذة لتتسلل بعض الأشعة على استحياء وتنتشر في كل أرجاء الغرفة التي كانت عبارة عن صالون صغير بأريكة كبيرة وضعت تحت النافذة الوحيدة؛ يحيط بها كرسيين إضافيين تتوسط الجميع طاولة خشبية مستديرة بلونها الأسود اللامع وعلى الحائط المقابل للنافذة استقرت مكتبة صغيرة أيضا ذات لون أسود لامع..

- الشقة كان يسكنها الصحفي الشهير **عبد السلام الزيتوني** رئيس تحرير جريدة الحلم لا شك أنك تعرفه ؟

- أجل سمعت به؛

- لقد استقر هنا فترة طويلة قبل اختفائه؛ الشقة بقيت مغلقة من يومها حتى حصلت أخيرا على حكم من المحكمة بإعادة فتحها واستغلالها.

اقترب نحو المكتبة يتفحص محتوياتها بفضول: هل هذه المكتبة كانت له؟

- أجل لقد جمعت كل أغراضه ووضعتها في مكان آمن إن عاد يوما، لم يتبقَ سوى هذه المكتبة إن شئت أزلتها ؟؟
- لا داعي لذلك فلن أمكث سوى أياماً حتى أنهي أشغالي هنا
- أتعلم حتى الآن ورغم مرور سنوات لم يُعرف أين اختفى؛ البعض يقول أنه ربما قتل من قبل مافيا الفساد التي كان يحاربها في مقالاته؛ والبعض الآخر يقول أن زوجته هجرته فاعتزل العالم؛ أتصدق أن الرجل الذي يقدم حلولا لملايين الناس فشل في إيجاد حل لمشاكله ؟؟.

بدا حسن غير مهتم بما يقوله صاحب الشقة وهو يخرج بعض الأوراق المالية من جيبه ليقدمها له:

- هذا جزء من الإيجار وسأعطيك الباقي لاحقاً.

التقطها منه بفرحة واضحة: حسنا أظنك سترتاح هنا كثيراً فالحي كما ترى هادئٌ جدا والجيران محترمون ولا يتسببون بأي مشاكل..

- آمل ذلك حقا.

أغلق الباب بعد انصراف صاحب البيت ليقف وسط الردهة يتأمل أركانه؛ اختيار الألوان الهادئة جعل الارتياح يتسرب إلى نفسه بعض الشيء؛ حمل حقيبته واتجه نحو غرفة النوم..

وضع الحقيبة فوق السرير وخرج إلى الشرفة...

أطلق تنهيدة حارة يخرج بها أنفاسه التي يشعر أنها محبوسة داخل صدره المثقل بالهموم ووقف يراقب قرص

الشمس الذي يجاهد ليطل من خلف الغيوم الرمادية التي تملأ السماء ..

" تراقصت أمامه صورة عينيها الصغيرتين الدامعتين وهما تستعطفانه حتى لا يتركها؛ وأمها تجرها لتغادر البيت؛ شعور بالعجز تملكه وهو ينظر إليها غير قادرٍ على تلبية ندائها ..

استطاعت أن تنفلت من بين يديها لتركض تجاهه؛ انحنى بسرعة ليجلس على ركبتيه وفتح ذراعيه ليستقبلها بينهما؛ أخذ يقبل وجهها بعض أن احتضنه بين راحتيه بحنان بالغ:

- لا تحزني حبيبتي قريبا جدا ستعودين إلى هنا

-لا أريد أن أذهب إلى ذلك المنزل الكئيب أريد أن أبقى معك

-ليس من اللائق أن تقولي على بيت جدتك أنه بيت كئيب؛

- ولكنني لا أحبه ولا أحب أن أترك غرفتي وأتركك

- ستعودين قريبا أعدك بذلك

تقدمت نورا نحو الصغيرة ياسمينة لتجرها بعنف ونظراتها الحادة مسلطة عليه:

- لا تعدها بما لا تستطيع الوفاء به

وقف واضعا يديه بجيب بنطاله قبل أن يرمقها بنظرات ساخرة: أنا لا أعد ابنتي إلا بما أستطيع الوفاء به وثقي أنها قريبا ستعود إلى بيتي لتعيش بين أحضاني

- لا تكن واهما لن أعود إلى هذا البيت أبدا

ضحكة ساخرة انطلقت منه لتزيد من احتقان وجهها الذي اكتسى باللون الأحمر وهي ترمقه بنظرات غاضبة؛ قبل أن يتابع: ومن قال أنك ستعودين إلى هنا؟ أنا أتحدث مع ابنتي

لم تجبه بل جرت الصغيرة لتغادر البيت .."

وضع الكتاب فوق الطاولة بعد أن انتهى من قراءته؛ وبداخله امتنان كبير لصاحب البيت لأنه ترك المكتبة كما هي لتساعده هوايته المفضلة على قضاء وقت ممتع متناسيا السبب الذي

جعله يأتي إلى هذه المدينة الساحلية الصغيرة هربا من مشاكله وطلبا لبعض الهدوء والراحة؛

قام إلى المطبخ ليعد له فنجانا جديدا من القهوة ثم عاد ليبحث من جديد بين الكتب عمن سيكون أنيسه في الساعات القادمة؛ أخذ يتفحص الكتب التي تنوعت بين ما هو علمي بحث وأدبي بين روايات ومقالات مختلفة قبل أن تقع عينيه على كتابه المفضل ألف ليلة وليلة؛

ارتسمت ابتسامة واسعة على شفتيه وهو يمد يديه ليخرجه وقد تملكه إحساس النشوة التي كان يشعر بها أثناء قراءته قبل سنوات طويلة؛ أخرجه من مكانه لتتبعه عدد من الأظرف التي تساقطت على الأرض؛ انحنى يلملمها ويقلبها بين يديه في فضول..

كانت جميعها مفتوحة وكتب عليها : إلى ركن رسائل إلى...

لم يحتج الكثير من الوقت ليخمن أنها رسائل المشاكل التي كانت تصل إلى الصحفي الزيتوني ليرد عليها في ركنه الخاص في الجريدة :"رسائل إلى ..."

تملكه فضول شديد ليطلع عليها، فضول استغربه في نفسه وهو الذي لا يحب قراءة هذه النوعية من المقالات التي تخص المشاكل..

حملها ليضعها جميعها فوق الطاولة قبل أن يفتح أول رسالة.....

الرسالة الأولى :

﴿ونسيت أنني أنثى﴾

أحيانا ندفع عمرنا كله ثمنا لاختيار خاطئ؛ اختيار ربما دُفعنا نحوه دون إرادة منا لكننا عشنا بداخله وقيدنا روحنا بقيوده الوهمية حتى صار جزءا من كياننا، وعندما قررنا أن نرفع راية التمرد اكتشفنا أننا صرنا أسرى لديه ولا مجال للفرار .

أستاذي الفاضل؛

استيقظت ذات صباح لأجد نفسي سجينة بين رجولة مشوهة وأنوثة ضائعة؛ أتعلم سيدي قصة الغراب الذي أراد أن يقلد مشية الحمامة فلا هو نجح في تقليدها ولا تذكر مشيته فحافظ عليها؛ وهكذا أنا ما استطعت أن أكون رجلا كما أرادوا لي أن أكون ولا حافظت على الأنثى بداخلي فأكون كما أراد لي الله حين خلقني للوجود تهت بين هذا وذاك حتى صرت مسخا بلا هوية..

ودعني أحكي لك قصتي التي بدأت قبل مولدي في مدينة صغيرة يغلب عليها الطابع القروي؛ فقد أخبرت القابلة أمي بأن كل علامات حملها هذه المرة تشير إلى مولود ذكر؛ وللعلم فقد سبقني إلى الوجود ثلاث شقيقات..

جاء يوم ولادتي في إحدى ليالي الشتاء الباردة كانت ولادتي متعسرة كادت أمي أن تخسر حياتها لتهبني الحياة لكن الله سلم

لنعيش معا؛ وما إن افتقدوا فيّ كل مظاهر الذكورة حتى هاج وثار أبي ورفض تصديق أن أكون الأنثى الرابعة التي تأتي من نسله..

غادر البيت غاضبا ولم يعد إلا بعد مرور ثلاثة أيام بلياليها وقد قرر أنني ولد ولن أكون غير ذلك..

في الأوراق الرسمية اسمي هو "سعاد" أما بين الناس وبين معارفي فأنا "سعد" ..

منذ صغري محا أبي كل معالم الأنوثة بداخلي كان يعاملني كالأولاد رغم اعتراض أمي ومحاولاتها المتكررة لثنيه عن ذلك، كان يشجعني لألعب مع الصبيان ويأخذني معه لمجالس الرجال ويتفاخر بي أمام الجميع " هذا ولدي وسندي سعد " حتى شكلي سعى ليكون مثل الصبيان قصة شعري وملابسي توحي لمن يراني لأول مرة أنني فعلا ولد..

حاولت أمي في مرتين متتاليتين أن تحقق له أمنيته في إنجاب الذكر لكن كان نصيبها ابنتين أيضا ...

الغريب أن أبي لم يغضب عند ولادتهما بل على العكس تماما؛ بل وأقنع أمي بالكف عن محاولاتها خوفا على حياتها بعد أن صارت ولاداتها كلها متعسرة وكان يقول لها أنها بالفعل أنجبت له الصبي الذي تمنى ...

وهكذا عشت حياتي صبيا؛ في المدرسة كان أصدقائي كلهم من الذكور لم أحب يوما مخالطة البنات رغم نظرات الاستهجان التي كنت ألمحها في عيون البعض والسخرية لدى البعض الأخر، لكني ما اهتممت يوما فقد كنت سعيدة بطبعي وكنت فخورة بنفسي وباستقلاليتي وقوتي، وجعلني أبي أفخر بإنجازاتي طوال الوقت حيث كنت ذراعه الأيمن في العمل والبيت ..

وكبرت وحصلت على شهادتي الجامعية وبقيت أعمل مع أبي الذي كان يمتلك متجرا كبيرا لبيع المواد الغذائية..

حاولت شقيقاتي مرارا جذبي لمشاركتهن اهتماماتهن لكني كنت أرفض ذلك؛ بل كانت لي اهتمامات أخرى بعيدة كل البعد عن اهتمامات البنات حتى يئسن مني وتركنني وشأني ..

لم أهتم يوما بالموضة أو المكياج أو ما شابه .. هواياتي كانت لعب كرة القدم والجودو وساعد بروز عضلاتي بسبب الرياضة في محو آثار الأنوثة التي كان تحاول الظهور على استحياء؛ وفي البيت كنت أفضل لعب الشطرنج مع أبي أو متابعة المباريات معا ..

لم تفقد أمي الأمل يوما في أن أعود لطبيعتي وكانت تفاجئني في المناسبات بشراء فساتين لي لكنها ظلت جميعها حبيسة الخزانة الخشبية كسجين حصل على حكم بالمؤبد ..

خلال سنوات عمري نسيت تماما أ نني أنثى لولا زائرتي الشهرية التي كانت تصيبني بالإحباط وتجعلني أعتزل الجميع حتى ترحل؛ تزوجت شقيقاتي الواحدة بعد الأخرى حتى من يصغرنني ولم يطرق بابي أحد ..

في الحقيقة لم أكن أهتم بالأمر فالزواج آخر ما أفكر به بل لم يكن يخطر ببالي مطلقا ولو للحظات أن أرتبط برجل أو تتحرك مشاعري تجاه أحدهم كيف وأنا أعتبر نفسي فردا من جنسهم ..

قد تشك سيدي أنني ربما أنجذب للبنات شأني شأن غيري ممن هم في نفس وضعيتي؛ لكن هذا أيضا لم يحدث مطلقا فبالرغم من تمسكي بمظهري الرجولي إلا أنني كنت أعلم تماما أنني امرأة حتى وإن رفضت وجودها بداخلي ...

كان أبي فخورا بي كوني لم أخيب رجاءه وكنت سنده كما تمنى؛ يعتمد علي في كل شيء؛ لكنني فوجئت به يوما وهو يكلمني وفي عينيه نظرة مختلفة نظرة حملت الكثير من الندم تحدث بلهجة مختلفة لم أعهدها من قبل؛ دخلت غرفته بعدما طلب مني المجيء ليتحدث إلي:

- اقتربي يا ابنتي
- منذ متى تناديني بابنتي هل أنت غاضب مني أبي؟

- لست غاضبا منك في شيء أبدا، ثم ألستِ حقا ابنتي؟

- أنا ابنك الذي لن يخذلك أبدا

- لكني أنا من خذلتك فسامحيني حبيبتي

- ما الذي تقوله أبي

- أقول الحقيقة التي حاولت مرارا تجاهلها وأغلقت أذني عن سماع والدتك ونصائح المقربين، أردتك أن تكوني عوضا لي عن الولد الذي حرمت منه وفي المقابل حرمتك من العيش حياة طبيعية كأي فتاة؛ الآن فقط أدركت فداحة خطأي ولا أعرف هل سيمنحني الله الوقت الكافي لإصلاحه

- ولكنك لم تحرمني من شيء؛ حياتي كانت باختياري أنا وأنت لم تجبرني على المضي فيها ..."

أخبرني أنه لو استطاع العودة بالزمن إلى الوراء لكان تركني أعيش كبقية أخواتي؛ استغربت كثيرا ولم أفهم سبب موقفه المفاجئ فأنا لم أتذمر يوما بل كنت سعيدة بحياتي وباختياراتي ..

لم يمض وقت طويل حتى عرفت سبب ندمه؛ فقد رحل ذات صباح فجأة دون إنذار ليترك في حياتي فراغا لم يستطع أحد ملأه...

بعد رحيله أخذت مكانه لأكون رجل العائلة رغم تذمر أمي التي لم تتوقف أبدا عن محاولاتها لجعلي أغير طبعي الذكوري وأتزوج إسوة بشقيقاتي كانت تقول أنها تريد أن تطمئن عليّ قبل أن ترحل، أمي شأنها شأن أي أم أخرى ترى أن مستقبل الفتاة في بيت يضمها مع زوج وأبناء وأنا كنت أرفض هذه المعادلة وأرى أن مستقبلي في نجاحي في عملي واعتمادي على نفسي ..

مرضت أمي بعد موت أبي ولم تتحمل فراقه ومع مرضها شعرت لأول مرة بالضعف؛ خوفي من فقدانها جعلني أشعر بالضياع ..

ذات ليلة أصابتها أزمة مفاجئة حملتها واتجهت بها إلى المستشفى وقلبي ولساني لا يكفان عن الدعاء ليحفظها لي الله ولا يفجعني فيها..

قابلنا الطبيب المناوب تلك الليلة والذي نجح في احتواء الأزمة وإسعافها كما يجب وأمر ببقائها في المستشفى لبضعة أيام حتى تستقر حالتها..

كان الطبيب شابا أعتقد أنه تجاوز الثلاثين ببضع سنوات فقط؛ لن أقول أنه كان وسيما يخطف القلوب ولكن كانت له ابتسامة هادئة بل واثقة تضفي على ملامحه سحرا خاصا؛ في كل مرة كنت أقابله فيها خلال الأيام التي قضتها والدتي بالمستشفى كنت أرى في عينيه نظرة غريبة تجاهي لم أرها من قبل في كل من قابلتهم .. نظرة حركت شيئا ما بداخلي صرت أتلهف لمقابلته والحديث إليه والذي يشعرني بنشوة لم أعهدها من قبل، نبضات قلبي صارت تعاندني وتتعالى بمجرد رؤية ابتسامته؛ لا أعلم إن كان إحساسي صادقا حين شعرت أن اهتمامه بي تجاوز الحد المعقول فهو من كان يبادر بالبحث عني ومحادثتي؛ اهتمامه جعل عقلي يدق ناقوس الخطر فها هي مشاعري التي لم أكن أعلم بوجودها بدأت تطفو على السطح فقررت الهرب ..

تعللت أن هاتفي ضائع وأنني لا أملك رقما خاصا عندما طلبه مني في اليوم الذي كانت أمي تستعد لمغادرة المستشفى بعد تحسن حالتها نوعا ما؛ أخبرني أنه يريد الاطمئنان على حالتها في المقابل أخذت أنا رقمه ووعدته أن أتصل به وفي نيتي أنني لن أفعل ذلك أبدا ...

"أتعلم سيدي أني ما زلت أحتفظ برقمه حتى اليوم رغم مرور ما يزيد عن الثلاث سنوات"

مرت الأيام وأنا أصارع ذلك الشعور بالحنين إليه وبرغبتي في رؤيته والحديث معه، كثيرا ما كنت أجد نفسي أقف بالقرب من المستشفى وكلي أمل في أن ألمحه عن بعد لكنني كنت سريعا ما أغادر المكان فرارا من حماقة تصرفاتي ..

لم يمض وقت طويل حتى صفعني القدر بفراق جديد؛

استيقظت ذاك الصباح واتجهت إلى غرفة أمي لأوقظها وأعطيها

دواءها كما تعودت لكنها لم تستيقظ كانت قد رحلت هي أيضا لتلحق بأبي..

لا أستطيع أن أصف لك حالتي بعد رحيلها .. ضائعة .. مشتتة .. وخائفة...

خائفة من مستقبل لأول مرة أجدني أفكر به

خائفة من الوحدة التي صارت بعد ذلك رفيقتي المخلصة.

مر الآن ثلاث سنوات وأنا أعيش بمفردي في الشقة التي اشتريتها من حصتي من ميراث والداي؛ اشتريت أيضا محلا خاصا بي لأسير على نهج أبي كما كنت؛ فلا أجيد شيئا غير التجارة ..

كل واحدة من شقيقاتي لديها حياة خاصة مع زوجها وأبنائها وكلما زرت إحداهن إلا وفهمت سر اعتذار أبي وندمه.. وفهمت ما كانت تقصده أمي ..

حاولت أن أعود إلى الأنثى المدفونة بداخلي لكني فشلت فكلما حاولت إلا ووجدت مظهري وتصرفاتي الرجولية تطفو على

السطح فما استطعت التخلي عن طبعي الخشن؛ بل الأهم أنني ما استطعت التخلي عن المكابرة بالاعتراف أني أخطأت الاختيار منذ البداية بابتعادي عن طبيعتي التي خلقني الله عليها .. وإن كنت أتساءل مرارا هل كان فعلا اختياري أم أن أبي حقا دفعني لهذا الاختيار قسرا وأنا مشيت فيه بدون إرادة حقيقية ..

اليوم أتممت سنتين بعد الثلاثين ليتقدم لي أول الخاطبين ..

لكن مهلا ....

فالعريس إن صح التعبير تجاوز الخمسين تركت له زوجته الراحلة أربعة أطفال كما أنه يعاني من مرض جعله غير قادر على العمل ..

أظنك خمنت سبب تقدمه لطلب الزواج من فتاة مسترجلة مثلي .. فهو لا يريد فقط أما بديلة لأبنائه كما يُظَن بل يريد من يعيله ماديا أيضا .. ومن سيكون أفضل من فتاة تجاوزها قطار الزواج ولا تطمح بأن تلحق به يوما ما ..

وأنا ولأول مرة أجدني عاجزة عن اتخاذ القرار؛ فأنا حائرة وضائعة أخشى إن رفضت أن أعيش وحيدة ما بقي لي من عمري؛ وإن قبلت ألا أعيش الحياة كما أتمنى وكما أرغب وأن يلازمني شعور استغلال الآخرين لي؛ وشعور أني اشتريت عائلة مزيفة فقط هربا من الوحدة..

أنا بين نارين لا أعرف أيّهما أرمي نفسي تجاهها ..

أنا لا أبحث عن الحب ولا عن حكاية كالأساطير فقط أريد قليلا من الأمان والاطمئنان ..

أريد نصيحتك حتى أختار الطريق التي لا أندم عليها في يوم ما ...

2

فتح الثلاجة فلم يجد ما يمكن أن يجهز به إفطارا يسد به جوعه؛ قرر أن يتوجه إلى أقرب متجرٍ ليحضر ما يحتاج إليه؛ خرج من العمارة ليفاجئ بالحارس الذي يراه لأول مرة كان عجوزا تجاوز الستين بملامحه السمراء التي حفر عليها الزمن آثاره؛ من إن رآه بباب العمارة حتى تقدم نحوه بابتسامته الودودة:

- لا شك أنك الساكن الجديد الذي استأجر الشقة المفروشة؛ لقد أوصاني السيد " العربي" أن ألبي لك كل طلباتك

- أجل هو أنا؛ أنت حارس العقار؟

- أجل يا أستاذ بم يمكنني أن أخدمك؟

ابتسم له حسن في ود وهو يربت على كتفه: لم تقل لي اسمك؟

- عمر...اسمي هو عمر يا ولدي

- تشرفنا "با عمر" وأنا حسن؛ وإذا احتجت لأي شيء سأطلبه منك بكل تأكيد ..

ثم أخرج بعض الدراهم ووضعها بيديه: سأخرج الآن لأتمشى قليلا.

أخذها بابتسامة ولم يتوقف لسانه عن الدعاء الله

شعر حسن أنه كان بحاجة لتلك الدعوات خاصة إن كانت من رجل رأى في ملامحه علامات الطيبة ..

وجد نفسه يتجه نحو "الكورنيش" الذي كان شبه خال في هذا التوقيت الصباحي؛ جلس بمقابلة البحر خرجت من صدره زفرة حارة وهو يضم نفسه بذراعيه؛ جلس على السور يتطلع إلى البحر ..

أخرج هاتفه المغلق من جيبه وأخذ يتطلع إليه؛ تردد في فتحه هل يا ترى افتقده أحدهم أم أن وجوده وغيابه لا يشكل فارقا لدى أحد؛ فتحه لتصله رسالة من صديقه المقرب "عادل":

" أين أنت أريد أن أطمئن عليك .. الهرب ليس حلا دعنا نواجه الأزمة وأنا واثق أننا سنتجاوزها .. الوضع ليس بالسوء الذي تتوقعه صدقني "

ابتسم وهو يرى عدد الاتصالات التي وردت منه فقط؛ وبعض الاتصالات القليلة من بعض المعارف ..

نقر بسرعة الرد قبل أن يباغته بالاتصال:

" أنا بخير صديقي لا تقلق كل ما في الأمر أنني أرغب في الابتعاد لأحصل على بعض الهدوء فأتمكن من التفكير بشكل جيد .. سأكلمك لاحقا"

ضغط زر الإرسال وأسرع إلى إغلاق الهاتف من جديد؛ شعور بالضيق تملكه فجأة:

هل كنت تنتظر أن تتصل بك مثلا؟ ألم تطلبها صريحة ؟ تريد الطلاق لقد باعتك عند أول عقبة عليك أن تعتاد الأمر:

" أخبره والده أنهم سيقومون برحلة ممتعة؛ سوف يقضون وقتا رائعا بين اللعب والمرح استلقى في الكرسي الخلفي للسيارة قبل أن يغفو وهو يحلم بكل تلك الألعاب التي أخبره عنها والده..

شعر باصطدام عنيف فتح عينيه ليجد نفسه ملقى على الأرض وسط الطريق شعر بالألم يغزو وجهه وأطرافه التي تملؤها الخدوش؛ انسابت الدموع على وجنتيه وهو يبحث بعينيه الصغيرتين عن والديه، فلم يجد أمامه سوى السيارة التي تلتهمها النيران تجمد الدم بعروقه ونشفت دموعه وتحامل على نفسه ليقف وينظر تجاه السيارة المحترقة ...

أيام مرت بعدها لا يتذكر منها شيئا .. حتى دخل ذلك البيت الذي سيصير بيته وضع خاله يده على كتفيه مربتا عليه بحنان:

من اليوم اعتبر نفسك ابني الذي لم أنجبه سأوفر لك كل ما تحتاج إليه فلا تتردد في طلبه..

جال ببصره في البيت الذي يدخله للمرة الأولى حين وقع بصره على تلك الصغيرة المختبئة خلف باب الغرفة وهي تتطلع إليه بفضول..

تقدمت نحوه فاطمة زوجة خاله لتحتضنه بحب كبير وهي تربت على ظهره: أنت من اليوم ابني الصغير ...

ابتسامتها الحنون تركت أثرا في قلبه وأشعرته بالاطمئنان؛ التفتت إلى الصغيرة التي لا تزال تراقب المشهد بفضول: اقتربي نورا لتسلمي على أخيك الجديد ..

تقدمت بخطى بطيئة لتمد إليه يدها الصغيرة بخجل: أنا نورا

ابتسم وهو يمسك بيدها ليسلم عليها: وأنا حسن

- حسنا يا نور هيا خذيه في جولة ليتعرف على المنزل

انطلاقا يركضان من غرفة لأخرى وشعور بالسعادة بدأ يتسرب إلى قلبه الصغير؛ حتى دخلا إلى الغرفة التي أخبرته أنها ستكون غرفته؛ كان هناك طفل يجلس على المكتب ما إن رآهما حتى وقف ليتقدم نحوهما؛ مد إليه حسن يده مبتسما:

- أنا حسن وأنت؟

أخذ يتفحصه واضعا يديه خلف ظهره وهو يدور حوله ببطء وقد ارتسمت على جانبي شفتيه ابتسامة ساخرة: إذا أنت هو ابن عمتي الذي ستعيش معنا

- أجل

- عليك أن تعلم أن هذه الغرفة هي غرفتي وأنني وافقت على بقائك معي بها بشروط

- فريد توقف عن مضايقته

وقبل أن يتحدث فريد دخلت فاطمة الغرفة: هيا يا أولاد لقد جهزت لكم الغذاء ..."

صنع لنفسه فنجان القهوة الذي تعود على شربه بعد الإفطار

واتجه نحو الشرفة بعد أن حمل الرسائل ليفتحها من جديد:

الرسالة الثانية:

﴿العاشقة الصغيرة﴾

هل يوجد سن قانوني للحب ؟ أم أن سنه القانوني محسوب بنبضات القلب؟ إذا فلماذا يلومونني إن أنا أحببته وتهت في بحر حبه وغرقت؟

إلى الأستاذ عبد السلام الزيتوني ؛

لم أتخيل يوما وأنا المتابعة الشغوفة لصفحتك على الجريدة أن يأتي يوم أحمل فيه قلمي لأكتب لك عن مشكلتي التي لم يعد بي طاقة لتحملها راجية أن أجد عندك الحل والعون الذي أطلبه ..

اسمي هو أمنية؛ وأبلغ من العمر خمسة عشر عاما أعيش مع جدتي لأبي بعد أن سافر هذا الأخير للاستقرار في أمريكا منذ ما يزيد عن عشر سنوات؛ وتحديدا بعد انفصاله عن والدتي التي تنازلت عن حضانتي برغبتها لتتزوج بعد طلاقهما بأشهر قليلة؛

اعتنت بي جدتي جيدا وكانت لي بمثابة الأم والأب اللذان تخليا عني طواعية؛ أمي بزواجها وأبي بسفره رغم أنه وعدني مرارا بأنهسيأخذنا معه أنا وجدتي لكن ذلك الوعد تأجل سنة بعد أخرى ...

كنت أزور أمي مرة كل أسبوع بناء على اتفاق مسبق بينها وبين جدتي؛ وأمكث معها عطلة نهاية الأسبوع لكني لم أكن أرتاح

في بيتها رغم الترحيب الذي أحظى به من قبلها وأخويّ اللذان يتعلقان بي ولا يفارقانني، والسبب هي معاملة زوجها الغريبة لي؛ لم أكن أرتاح لتصرفاته ، نظراته لي لم تكن تعجبني؛ وطريقته في التودد لي لم تكن تروق لي فقد كان يتعمد ملامسة جسدي الصغير بطريقة غريبة عندما بدأت أستوعبها أصابتني بالاشمئزاز والغثيان ..

بالطبع لمحت لأمي عن الأمر فثارت ثائرتها واتهمتني بسوء الظن وبأني أفسر تصرفاته الأبوية العفوية معي تفسيرا خاطئا؛ من يومها أدركت أنها أبدا لن تكون حليفتي وصرت أقلل من زياراتي لها قدر المستطاع..

لم أخبر جدتي ولا أبي عن الأمر مخافة أن أخلق بينهم مشكلة جديدة أنا في غنى عنها لأني وحدي من سيدفع الثمن في النهاية ..

حتى هنا كانت كل أموري على ما يرام؛ وكنت قادرة على التأقلم مع وضعي ومواجهة مشاكلي؛ إلى أن رأيته فانقلبت حياتي رأسا على عقب ...

التحق بمدرستنا خلال العام الدراسي الجديد أستاذا للغة الفرنسية قادما إليها من مدينة أخرى؛ عندما رأيته لأول مرة شعرت برعشة حارة تسري بجسدي؛ كان مختلفا عن كل الرجال الذين قابلتهم في حياتي؛ متوسط القامة بجسد رياضي بعض الشيء شعره الأسود تتخلله العديد من الشعيرات البيضاء التي أضفت عليه سحرا وجاذبية؛ عيناه بلون العسل الصافي ترسلان بريقا ما إن اخترق قلبي حتى أرداه صريعا..

أعلم أنك ستقول لي أني لا زلت صغيرة على الحب...

لكن هذه هي الحقيقة فقلبي لا يتوقف عن النبض بقوة وسرعة كلما جاء موعد حصته؛ أجلس في مقابلته أنظر إليه كأني

مسحورة لا أستطيع أن أحيد بنظراتي عنه وهو في المقابل كان يرسل لي ابتسامات ساحرة كلما التقت أعيننا.

لم أستطع منع نفسي من التحري عنه فعلمت أنه تجاوز الأربعين بسنوات ست انفصل عن زوجته قبل فترة وتركها حيث كان يعمل سابقا لينتقل إلينا ويعيش وحيدا ..

حاولت كثيرا أن أمنع نفسي من التفكير به وإقناعها أن مشاعري لا تعدو سوى انبهار مؤقت لا يلبث أن يختفي مع الوقت؛ غيرت مقعدي من الصفوف الأولى لأجلس في مكان يجعلني بعيدة عن مرمى نظراته التي تسلبني عقلي وتفقدني السيطرة على نبضات قلبي ..

لكنني فشلت في الهرب منه فقد كان يبحث عني بين الصفوف ليقف في مقابلتي وكأنه لا يجيد الشرح إلا وهو ينظر لي وتلك الابتسامة مرسومة على شفتيه..

رفعت راية الاستسلام وأطلقت العنان لقلبي ليستمتع بنبضاته الجديدة؛ ولينسج خيالي قصصا وردية هو فارسها وأنا أميرته المدللة؛ اهتمامه بي كان يثير غيرة زميلاتي اللواتي أعجب به معظمهن فكنت أستمتع بتلك الغيرة التي أراها في أعينهن وأتلذذ بإغاظتهن.

اهتمامه بي كان يزيد يوما بعد يوم أصبح يطلب مني أحيانا البقاء بعد انتهاء الحصة ليسألني عن أحوالي وعن عائلتي وكل ما يخصني؛ أدركت بحسي الأنثوي أن اهتمامه تجاوز حد اهتمام أستاذ بتلميذته؛ لا يمكنك أن تتخيل مقدار سعادتي لمجرد شكي أنه ربما يبادلني نفس الشعور لكني كنت حريصة كل الحرص ألا أبوح لأحد بمشاعري.. خاصة هو فقد كنت أخشى أن يكون كل ذلك مجرد وهم من نسج خيالي .

ذات يوم فوجئت به يقف في طريق عودتي من المدرسة ما إن رأيته حتى تسمرت قدماي وعجزتا عن حملي فوقفت أنظر إليه في ذهول وهو يتقدم نحوي بابتسامته الهادئة؛ لم يتحدث معي

فقط وضع بيدي ورقة مطوية وأطبق عليها أصابعي وغادر ليتركني أقف مكاني مذهولة لدقائق لا أعرف عددها ..

عندما انتبهت دسست الورقة في جيبي وأنا أتلفت حولي لأتأكد إن كان أحدهم يراني ثم انطلقت مسرعة نحو البيت وأنا أفكر فيما عساه يكون مكتوبا في هذه الورقة؛ اندفعت بسرعة لأقبل جدتي وأتجه نحو غرفتي، أخرجت الورقة بعد أن تأكدت من إغلاق الباب جيدا :

أحبك جدا

وأعرف أن الطريق إلى المستحيل طويل

وأعرف أنك ست النساء

وليس لدي بديل

وأعرف أن زمان الحنين انتهى

ومات الكلام الجميل

أحبك جدا وأعرف أني أعيش بمنفى

وأنت بمنفى

وبيني وبينك

ريح

وغيم

وبرق

ورعد

وثلج ونار

وأعرف أن الوصول لعينيك وهم

وأعرف أن الوصول إليك انتحار

∞∞∞

أيا امرأة تمسك القلب بين يديها

سألتك بالله لا تتركيني

لا تتركيني

فماذا أكون إذا لم تكوني

أحبك جدا

وجدا وجدا

وأرفض من نار حبك أن أستقيل

وهل يستطيع المتيم بالعشق أن يستقيلا

وما همني

إن خرجت من الحب حيا

وما همني إن خرجت قتيلا

أعدت قراءة الورقة عشرات المرات وأنا أضع يدي على قلبي الذي يخفق بقوة؛ شعرت أني أحلق فوق السحاب وأعانق القمر والنجوم، أخذت أرقص وأرقص على أنغام قلبي كالمجنونة، كنت

أرغب في الصراخ بأعلى صوتي لأبلغ العالم بأسره أنه يحبني فعلا وأنه اعترف لي أخيرا بذلك؛ ضممت الورقة إلى صدري وأمطرتها بالقبلات وأنا أشتم فيها رائحة عطره الجذاب ..

كان قد ذيل الورقة برقم هاتفه وعبارة صغيرة أسفله:

" أنتظر ردك وأنا أتقلب على جمرات شوقي وحبي فلا تتركيني"

أمسكت هاتفي بأصابع مرتعشة لا أعلم بم أجيب، وكلما نقرت كلمات عدت لأمسحها؛ أخيرا قررت أن أكتب له جملة واحدة :" لن أتركك أبدا"

وضعت الهاتف بجواري وأخرجت من صدري زفرة حارة كنت أشعر بسخونة تجتاح كل أطرافي وتتمركز في وجنتي فوضعت يدي عليهما لأهدأ من توردهما بعض الشيء، لم تمض سوى بضع ثوان حتى سمعت صوت رسالة تصل إلى هاتفي؛ قفز قلبي من موضعه وأنا أتوقع أن يكون هو المرسل ولم يخب ظني :

" الآن فقط أشعر أن روحي ردت إلي كنت أخشى أن ترفضي مشاعري التي لا أملك عليها سلطانا "

ما باله لا يعطيني فرصة لاستعادة أنفاسي؛ ابتسامة عريضة رسمت على شفتي وأنا أمسك الهاتف بين يدي وعيوني تلتهم كلماته فتتغلغل إلى مسامي وتسري في شراييني، كنت أفكر ماذا علي أن أقول وكيف يمكنني أن أخبره عن عشقي له الذي يمنعني خجلي من البوح به حين وصلتني رسالته الثانية:

"أحبك فوق الوصف لا أعلم متى ولا كيف حدث ذلك لكني منذ رأيتك لأول مرة ووقع نظري على عينيك الساحرتين أدركت أنني لن أستطيع الهرب من أسرهما؛ كل ما أريده أن تثقي بحبي لك"

"أصدقك وأثق بك" كان هذا ردي مع وجه خجول ..

تركت الهاتف على السرير وأسرعت لأخرج من الغرفة لألبي نداء جدتي التي انتهت من إعداد الطعام...

لم أنم تلك الليلة وكيف أنام وأنا أجوب الفضاء محلقة على أجنحة سعادتي ترافقني رسائله التي لم تنقطع حتى الفجر يبثني فيها أشواقه ويرسل لي قصائد حبه؛ لم أكن أجيبه سوى بكلمات مقتضبة رغم رغبتي في أن أبوح له بما في صدري لكني لم أستطع سوى أن أكون منصتة جيدة تلك الليلة..

أيام بعدها عرفت فيها المعنى الحقيقي للسعادة وتجرعت فيها كؤوس الحب؛ كنا نسهر لساعات الصباح الأولى نتبادل الرسائل المكتوبة والصوتية وأحيانا حين أطمئن لنوم جدتي يتصل بي ولا أشعر بالوقت برفقته حتى يغلبني سلطان النوم وقد قارب الصبح على الانبلاج؛ أما في المدرسة فقد كنا شديدي الحرص حتى لا يشعر بنا أحد ويكتشفوا أمرنا ...

لاحظت جدتي ما طرأ علي من تغيير وخمنت بخبرتها أن مشاعر جديدة قد طرقت قلبي فحاولت استمالتي لتعرف مني التفاصيل؛ لم أنكر الأمر فمشاعر الحب كأشعة الشمس لا يمكن إخفاؤها أبدا؛ لكني لم أستطع إخبارها عنه فقد كنت أعلم أنها

سترفضه شأنها شأن مجتمع يرفض هذا الحب لمجرد وجود فارق سن كبير بيننا ...

أمطرتني بنصائحها وغمرتني باهتمامها ولا أنكر أنها كانت متفهمة جدا لتلك المشاعر الوليدة بقلبي؛ ولكني صرت أكثر حرصا حتى لا تكتشف من هو الشخص الذي تملك فؤادي..

ذات يوم ذهبت لزيارة والدتي تلك الزيارة التي صارت ثقيلة على قلبي؛ ما إن دخلت المنزل حتى اكتشفت أن أمي غير متواجدة؛ ولا يوجد سوى زوجها وأخي الصغير حاولت ألا أظهر له ما شعرت به من خوف فأخذت أخي ودخلت به غرفته ألاعبه في انتظار عودتها، لسوء حظي نام الصغير فوضعته في فراشه وجلست بجانبه، وكأنه كان ينتظر تلك الفرصة فما إن شعر بأنه نائم حتى وجدته يدخل عليّ الغرفة وتلك الابتسامة السمجة مرسومة على وجهه المنفر؛ اقترب مني فقمت من مكاني متجهة إلى الباب لكنه فاجئني بالقبض على معصمي وإعادتي إلى الداخل:

"- لم تتهربين مني صغيرتي

- أترك يدي أريد أن أغادر

- لن أؤذيك أبدا.. فلا تخافي أنا فقط أريد أن أتحدث إليك قليلا أريد أن أخبرك سرا قبل أن تعود والدتك...."

شعرت بيده تتحسس جسدي وهو يقترب مني لتلفحني أنفاسه القذرة على وجهي استجمعت قوتي لأدفعه بعيدا عني خرجت أركض نحو باب الشقة وهو يلحق بي لأجد أمي عند الباب ارتميت في أحضانها أبكي بشدة:

" -ابنتك هذه لا شك مجنونة

- ما الذي يحدث هنا؟

- كنت أتحدث إليها لأسألها عن دراستها حتى وجدتها تدفعني بقوة وتركض اتجاه الباب عندما سمعت صوت المفتاح

- كذب .. إنه يكذب أمي .. لقد كان يحاول أن ... أراد أن ..

- كفي أمنية عن ترديد هذه السخافات؛ هل هي خطة جديدة من أبيك وجدتك؟ ماذا يريدان مني بعد؟

نظرت إليها بذهول وقد ألجمتني الصدمة: أمي أنا لا أكذب ولا دخل لي بمشاكلكم أنا أقول الحقيقة زوجك تحرش بي وليست المرة الأولى لقـ...

لم أكمل جملتي فقد تلقيت صفعة هي الأولى من أمي نظرت إليها بعينين تملؤهما دموع القهر والظلم وتركتها لأغادر المنزل وقد قررت أني لن أدخله مرة أخرى أبدا ...

بقيت أتجول في الشوارع بعض الوقت حتى تمكنت من السيطرة على انفعالي قبل أن أعود إلى المنزل؛ أخبرت جدتي أني وجدتهم مدعوون لدى بعض أصدقائهم ولأني لم أرغب في مرافقتهم عدت سريعا عندما سألتني عن سبب عدم بقائي مع

أمي كما كان مقررا لم أرغب في إخبارها بما حدث ولا أي شخص آخر فكيف أقول أن أمي خذلتني بهذه الطريقة وصدقت ذلك القذر ..

حاولت أن أتناسى الموضوع وأنا أعيش في عالمي الحالم معه لكنه شعر بحزني وألح لأخبره عن السبب..

في المدرسة أشار لي للبقاء في الفصل بعد انصراف التلاميذ للفسحة ليسألني مجددا عن سبب حزني؛ لم أستطع إخفاء الأمر فقد كنت بحاجة للبوح انهمرت دموعي لتغرق وجنتي وأنا أقص عليه كل ما عشته من لحظات خوف وألم وظلم ....

لا أعلم كيف ولا متى وجدت نفسي أسكن بين ذراعيه وهو يمسح على ظهري بحنان بالغ شعرت بقبلته فوق رأسي؛ إحساس لم أتعود عليه شعور بالأمان وأنا أستكين في مكاني الصحيح، لم تكن سوى لحظات قصيرة سرقتها من عمري قبل أن تنطلق عاصفة أخرى،

إحدى الأستاذات كانت تمر بجوار الفصل لترى المشهد فيعلو صوتها مزمجرا ومعلنا عن حدوث كارثة؛ شعرت بقلبي يسقط أسفل قدمي وبالدم ينسحب من عروقي وكنت على وشك السقوط لولا أني التجأت إلى أقرب طاولة؛

نظرت إليه أنتظر رد فعله كانت ملامحه هادئة كأن شيئا لم يحدث وهو يرد على صراخها بهدوء تام ...

اتجهنا جميعا إلى مكتب المدير الذي أنصت لتلك الأستاذة وهي تسرد له ما رأته من مشهد مشين بين أستاذ وتلميذته داخل حجرة الدرس، لم أرفع رأسي عن الأرض ولم أستطع حتى رفع كفي لأمسح عبراتي التي أغرقتني بل تمنيت للحظة لو أني غرقت فيها واختفيت من الوجود...

سمعت صوته أخيرا هادئا رزينا وهو يرد على اتهامها:

" – كيف يعقل أن تفكري أستاذة "...." بهذه الطريقة السطحية أتظنين أنني لو أردت العبث أن أتخذ من فصلي مكانا له وأستغل فتاة بعمر ابنتي لذلك؟ أشعر بالأسف لموقفك هذا ..

- تريدني أن أكذب ما رأته عيناي ..

- ليس كل ما تراه الأعين يحتمل تفسيرا واحدا أمنية تلميذتي المفضلة لاجتهادها وتفوقها وقد لاحظت اليوم أنها ليست بخير فأردت مساعدتها إن كان في مقدوري ذلك وبالفعل أخبرتني بمشكلتها

- أي مشكلة هذه التي تحل بتلك الطريقة

- لا أسمح لك.... أنا أرفض هذا الأسلوب وهذا الاتهام ثم لا يمكنني أن أخبرك بما استأمنتني عليه

- يكفي هذا الجدال يا أساتذة لقد اتصلنا بولية أمرها وستكون هنا بعد قليل"

زاد خوفي وأنا أسمع صوت جدتي تستأذن للدخول، لم أستطع أن أرفع رأسي نحوها ولكني شعرت بنظراتها تخترقني

طلب مني المدير أن أنتظر في غرفة مجاورة، جررت قدمي جرا كمن يساق نحو حكم بالإعدام، مر الوقت بطيئا جدا حتى سمعت جدتي تشكرهم وأقبلت نحوي لتمسك بيدي لنغادر المدرسة، طوال الطريق لم نتفوه بحرف واحد حتى وصلنا البيت وقفت في الردهة أنتظر ما ستقوله جدتي التي التفتت لي أخيرا:

" – لم أتصور أبدا أن أوضع في مثل هذا الموقف، لماذا ؟؟ لماذا أمنية ؟؟

ازدردت ريقي لأبلل حلقي الجاف وأبت الكلمات أن تغادره قبل أن تتابع جدتي:

هذا هو السبب إذا الذي جعلك تعزفين عن زيارة أمك ولهذا عدت بالأمس بسرعة، لمَ لمْ تخبريني بما فعله ذلك الخسيس معك؟ لم أخفيت الأمر عني ؟

شعور بالارتياح بدأ يتسلل إليّ وعاد الدم ليسري في عروقي من جديد وإن كان بحذر:

- خشيت أن أزيد الموقف سوءا بينكم وبين أمي كما أني خجلت من أن أعترف بأنها خذلتني حينما احتجت إليها ...

تقدمت جدتي نحوي لتضمني بين ذراعيها: لا عليك حبيبتي لن أسمح لأحد بأن يؤذيك أبدا ما دمت حية وسيكون لي موقف صارم مع والدتك

- ولكن جدتي ....

- لا تشغلي بالك بهذه الأمور وادخلي إلى غرفتك لترتاحي قليلا..

كان هناك سؤال لا زال عالقا فجدتي لم تحدثني قط عما حدث في المدرسة لذلك أبت قدماي أن تطاوعاني وتتحركا نحو الغرفة وكأنها علمت ما يدور في خاطري فابتسمت وهي تحيط كتفي بذراعيها:

- أخبرني أستاذك بما حدث اليوم، وأنه فوجئ بك بعد أن قصصت عليه الأمر وقد ارتميت على صدره؛ هو تفهم حاجتك للأمان لكن يجب عليك أن تكوني حذرة، الحمد لله أن أستاذك شخص محترم ماذا لو كان غير ذلك لاستغل هذا الموقف بشكل آخر ....

- آسفة جدتي لما حدث وأني وضعت نفسي ووضعتكم جميعا في موقف سيء..

- لا عليك حبيبتي أنا أثق بك تماما وأثق أن ما حدث مع أستاذك لأنك تعتبرينه في مثابة والدك أليس كذلك؟

ابتسمت وأنا أومئ لها برأسي وتنفست الصعداء أن الموقف مر بسلام -كما اعتقدت -

لم يرسل لي تلك الليلة سوى رسالة واحدة طلب مني أن أرتاح وألا أفكر بشيء وأن الأمور ستسير نحو الأفضل ..

لم أذهب إلى المدرسة في اليوم الموالي كنت بحاجة ماسة للراحة؛ ما إن حان موعد حصته حتى سمعت هاتفي يعلن عن وصول رسالة:

" - لمَ لمْ تحضري اليوم؟ هل أنت بخير ؟ أريد الاطمئنان عليك حبيبتي

- لا تقلق أنا بخير فقط بحاجة لبعض الراحة

- حسنا إذا ارتاحي وسأتصل بك فيما بعد "

استلقيت على سريري أقرأ رواية رومانسية وبين وقت وآخر أحمل هاتفي لأفتح المحادثة بيننا وأقرأ كلماته التي كنت أشعر أنها تشحنني بطاقة إيجابية ..

جاءني اتصاله بعد نهاية الفترة الدراسية ليطلب مني مقابلته؛ قال لي أنه لن يستطيع العودة إلى منزله قبل رؤيتي والاطمئنان عليّ؛ لم أرفض فقد كنت أيضا بحاجة لرؤيته..

أخبرت جدتي أني سأذهب لصديقة لأحضر منها ما فاتني اليوم من دروس؛ واتجهت إلى حيث أخبرني أنه سينتظرني جلست إلى جواره داخل السيارة ومن ثم انطلقنا بسرعة إلى مكان نستطيع فيه البقاء معا دون أن يزعجنا أحد؛ اختار مكانا منعزلا نوعا ما على الساحل ابتعدنا عن السيارة لنجلس فوق الصخور في مكان لا ترصده الأعين..

" -ألا تشعرين بالخوف ونحن هنا وحدنا في هذا المكان ؟

ابتسمت بخجل وأومأت له برأسي أن لا؛ مد يده ليمسك بكفي شعرت بأصابعه وهي تعبث بأصابعي فازدادت حرارتي وسرت رعشة خفيفة في جسدي؛ أخفضت رأسي حتى لا يرى ارتباكي لكني شعرت بيده ترفع ذقني لتتلاقى أعيننا: وأنت معي ارفعي رأسك دائما عاليا لا أحب أن أراك مطأطئة الرأس حتى وإن كان خجلا ..

ابتسمت والكلمات تفر مني فرارا فلم أستطع نطق حرف واحد فأغمضت عيني وأنا أشعر أني أعيش حلما جميلا برفقته حتى شعرت بأنفاسه تضرب صفحة وجهي لتزداد سخونته وهو يزيد من اقترابه مني فتحت عيني بذهول ودفعته بقوة هاربة لحقني وأمسكني من كتفاي ليوقف اندفاعي كان جسدي ينتفض بقوة وأنا على وشك الانهيار..

" – توقفي أرجوك لم أقصد ما فعلت، أنا آسف جدا لا أعلم كيف حدث هذا؛ أنا أحبك جدا لا تتركيني من أجل خطأ صغير ...

استسلمت من جديد لسحر كلماته وجلست على الصخرة ولكني لم أستطع منع دموعي التي انطلقت تغزو وجهي، ضم وجهي بين راحتيه ليمسح الدموع عنه:

- أنا آسف حبيبتي لم أقصد أن أخيفك
- لا تفعلها مرة أخرى
- أعدك بذلك فقط لا تتركيني

ابتسمت في وهن : لا يمكنني ذلك حتى لو حاولت

اتسعت ابتسامته أكثر وعاد ليضم كفي بين راحتيه: وأنا لا أتخيل حياة لست فيها حتما سأجن إن تركتني.

- لا تتصور الرعب الذي عشته بالأمس تخيلت أنهم سيعلمون أمرنا ويفرقون بيننا.

- قلت لك مرارا لا تقلقي طالما أنا معك؛ ما رأيك ألم يمر الأمر بسلام؟

- بلى بعد أن قلت لهم أنني بمثابة ابنتك.

- أنت ابنتي وأختي وصديقتي وأمي وحبيبتي وكل ما أملك في الوجود ..

- توقعت للحظات أنك ربما تخبر جدتي الحقيقة

- فكرت في ذلك فعلا لكني وجدت أن الموقف لن يحتمل المزيد وأني إن أخبرتها سأزيد الأمر سوءا؛ حبيبتي تعلمين أن حبنا لا يتقبله المجتمع بسهولة لذا يجب علينا أن نكون على استعداد تام للمواجهة قبل أن نعلن عنه.

- معك حق ..... يجب أن أعود الآن للبيت لا أريد أن أتأخر

- حسنا وأنا يكفيني هذه اللحظات أعيش بها حتى نلتقي مرة أخرى..."

مر أسبوع على الحادثة وتعودنا على اللقاء في مكاننا المحصن بين الصخور وبعيدا عن الأعين كنت أشعر أني أعيش حلما لا أريد الاستيقاظ منه وكأنني داخل بلورة وردية مليئة بالمشاعر الرائعة؛ في آخر لقاء بيننا جلسنا كعادتنا ويدانا متشابكتان نحلم بغد نكون فيه معا دون حاجة للاختباء؛ رفعت عيني لتنطفئ ابتسامتي وأنا أرى جدتي تنظر إلي بنظرات مليئة بالغضب واللوم ..

أمسكتني من ذراعي ودفعتني أمامها؛ حاول أن يمنعها ويتحدث إليها لكنها رفضت أن تستمع إليه وهي تدفعني أمامها نحو السيارة لننطلق عائدتين؛ انكمشت على نفسي وأنا أتخيل أن الأسوء قادم لا محالة فجدتي رغم طيبتها وحنانها إلا أنها لا

تتهاون في الأخطاء وأنا أعترف أني أخطأت بمواعدته والخروج بصحبته في السر ...

وصلنا إلى المنزل ليتحطم قناع الصمت الذي ارتدته طوال الطريق وصاحت بي في غضب شديد:

- لم أمنية تخونين ثقتي بك لماذا ؟
- لم أفعل صدقيني أنا لم أفعل أي شيء يسيء لك
- وماذا تسمين ما تفعلينه لقد شعرت منذ حادثة المدرسة أن هناك أمراًليس طبيعياً في علاقتك به وأردت أن أتأكد وكم كنت أتمنى أن أكون مخطئة في ظني ..
- جدتي أرجو منك أن تفهميني نحن نحب بعضنا ونريد ...
- توقفي عن هذا الهراء ... أي حب هذا الذي يجمع بين طفلة ورجل في عمر أبيها ؟
- الحب لا يعترف بهذه الفوارق

- اصمتي ولا تجادلي ألم تفكري أنه يريد استغلال مشاعرك الساذجة؛ أعلم أنه مخطأ ما كان يجب أن يتركك في هذا الوقت وأنت بحاجة إليه

- من تقصدين جدتي ؟

- عليه أن يتحمل مسئوليتك كاملة..

تركتني ودخلت غرفتها؛ وطوال الأيام التالية لم تتبادل معي أي كلمات كانت ترفض الاستماع لي وأنا تفهمت غضبها وانتظرت أن تهدأ ثورتها؛ منعتني من الذهاب إلى المدرسة وصادرت هاتفي حتى عندما جاء ليتحدث إليها رفضت استقباله وطردته رغم كل توسلاتي ..

أردتها أن تتفهم مشاعري كما كانت تفعل دائما لكن هذه المرة رفضت تماما ..

عشرة أيام كاملة وأنا أعيش في سجن منعزل عن العالم بأسره وأخيرا أخبرتني أن أبدأ بتجهيز نفسي لأننا سنسافر بشكل نهائي لنعيش مع أبي في أمريكا ..

غضبت .. ثرت .. بكيت ... صرخت وفعلت كل ما يمكنني فعله لأمنع هذا السفر دون فائدة؛ كانت قد اتخذت هذا القرار بالاتفاق مع أبي.

استغليت فرصة انشغالها واتصلت به لأخبره بما يحدث وتوسلت إليه أن يفعل شيئا، طلبت منه أن نتزوج ونضعهم جميعا أمام الأمر الواقع لكنه قال لي أن هذا غير ممكن لأنني في نظر القانون لا زلت قاصرا، وقال أن علينا الانتظار حتى تمر العاصفة بسلام وأخبرني أنه لن يتخلى عني أبدا ..

لم يتبق على موعد سفري الذي تحدد سوى أيام قليلة ولا أعرف كيف أتصرف أشعر كأني سمكة على وشك أن يخرجوها من الماء لتفقد روحها؛ فكرت مرارا في الهرب لأي مكان لكني لا أعرف

إلى أين يمكنني الذهاب أشعر بالعجز التام عن التصرف السليم

أرجوك ساعدني .....

أمنية العاشقة الصغيرة

3

طرقات متتالية على باب الشقة أيقظته من غفوته حيث كان مستلقيا على الأريكة؛ نهض بتثاقل لينظر من القادم؛ فتح الباب ليستقبله وجه الحارس عمر البشوش وهو يحمل في يديه بعض الجرائد وكيسا من الفاكهة:

- أحضرت لك جرائد اليوم

- لكني لم أطلب ذلك فأنا لا أهتم بقراءتها

- اعتقدت أنك تحتاجها

- وهذا الكيس ؟؟ أجابه حسن وقد فرض عليه الموقف

الابتسام

- حسنا أنت لم تغادر البيت منذ يومين فأردت الاطمئنان

عليك..

أفسح المجال ليدخل الحارس إلى الداخل؛ قبل أن يدعوه للجلوس

في غرفة الصالون:

- أخبرني "با عمر" هل تهتم بجميع السكان بهذه الدرجة؟

- بالطبع من أحبهم فقط وأنا منذ رأيتك شعرت أنك مثل

ولدي.

- أليس لك أبناء؟

- بلى لدي ثلاث أولاد هم الآن رجال ناجحون جدا .. ولكن...

صمت وهو يحاول كبح جماح عبراته التي ملأت عينيه تعلن عن استعدادها للانطلاق ثم تابع حديثه بنبرة مرتعشة: جميعهم هاجروا إلى أوربا لا أراهم إلا مرة كل سنتين أو أكثر لم أستطع منعهم من السفر لم أرغب في أن أقف في وجه مستقبلهم لكنهم تركوا فراغا كبيرا في حياتي .. نصيحتي لك يا ولدي بألا تبتعد عن والديك فمهما بلغا سيكونان دوما بحاجة لوجودك بجانبهم..

هذه المرة كان لمعان العيون من نصيب حسن الذي ابتسم ابتسامة باهتة: لو كنت أملك لما تركتهما لحظة واحدة ولعشت تحت قدميهما عمري كله ولكنهما من رحلا ولم يكن باختيارهما....

كلمات الحارس أيقظت بداخله أحزانا كان يعتقد أن الزمن نجح في اقتلاعها من قلبه؛

لأشهر عديدة ظل يتردد على إخصائية نفسية لتساعده على تجاوز صدمة وفاة والديه أمام عينيه؛ لم يبخل عليه خاله بالاهتمام بدأ يتأقلم شيئا فشيئا ساعده على ذلك وجود ابنة خاله نورا التي كانت تلازمه طوال الوقت كظله ...

كبر وكبرت معه مشاعره تجاهها؛ وبالرغم أنه لم يعد من اللائق أن يظلا متلازمين كما كانا في الطفولة؛ إلا أنه لم يكن يرتاح إلا بقربها خاصة مع مضايقات فريد الدائمة والذي كان يشعر أنه يغار منه ومن اهتمام والديه وعطفهما عليه؛ لم يستطع إخفاء مشاعره نحو نورا بل لم يخجل من إظهارها أمام الجميع خاصة

خاله الذي كان مرحبا بها وبشدة؛ شعور كان ينتابه من وقت

لآخر أن نورا ربما متضايقة من تلك المشاعر أو أنها لا تبادله إياها

لكنه ما يلبث أن يختفي وهو يسمع خاله وزوجته في كل مرة

يؤكدان له أنها لن تكون لغيره ...

الرسالة الثالثة:

﴿بقايا رجل﴾

الحب يتحمل الموت و البعد أكثر مما يتحمل الشك و الخيانة

أندريه موروا

سيدي؛

أجد صعوبة في كتابة مشكلتي بل والحديث عنها فهي تمس رجولتي وكرامتي؛ قهرت وصرت أرى العالم حولي بلون واحد أسود حالك..

قلبي ينزف من ألم القهر؛ كم مرة تمنيت لو توقف عن النبض ليتوقف عن الحياة فعليا ... فحياتي فعلا صارت ميتة لا نبض فيها

ماذا ينتظر الإنسان حين يقدم كل ما يملك من حب واهتمام وإخلاص؛ ماذا ينتظر بالمقابل ؟

أنا قدمت كل ذلك لكني أخذت الطعنة الغادرة لتقسم ظهري وتحولني إلى بقايا رجل...

بدأت قصتي عندما بلغت السابعة والعشرين من العمر وقررت أنه قد حان الوقت لأكمل نصف ديني خاصة ووضعي المادي جيد جدا؛ كان زواجي تقليديا فقد رشحت لي والدتي الفتاة التي رأتها مناسبةوالتي عندما رأيتها وقعت في قلبي وشعرت أنها الأنسب لي فعلا وأنها ستكون كما أتمنى استقراري وواحتي الآمنة؛ ودعني أخبرك سيدي أني اخترت هذه الطريقة للزواج نظرا لطبعي الخجول حيث كنت أجد صعوبة في ربط علاقات مع الجنس الآخر ..

تمت الخطبة بعد موافقتها والتي لم تدم سوى شهرين فقط؛ كنا نلتقي فيها للتحضير لحفل العرس ولتجهيز بيتنا حتى تم الزفاف لنبدأ حياتنا الزوجية وبطبيعة الحال فقد كنا كأي زوجين في بداية

حياتهما يفرض عليهما اختلاف طبائعهما هبوب رياح قوية، وزوابعَ لكن السّحب ما تلبث أن تنجلي ليعم الهدوء وتعود الحياة لطبيعتها...

حياتنا كانت تسير بشكل روتيني فقد كنت أستيقظ صباحا لأغادر نحو عملي ولا أعود إلا بعد العصر لأقضي ما تبقى من اليوم في بيتي وأقضي وقتي بين القراءة ومتابعة مباريات كرة القدم على التلفاز .. فأنا بطبعي بيتوتي لا أحب الاختلاط الكثير مع الناس ولا أملك سوى صديقين اثنين نلتقي كل أحد في المقهى لنقضي بعض الوقت معا ...

أما زوجتي فكانت على النقيض من شخصيتي؛ اجتماعية جدا لديها الكثير من الصديقات ولا يتوقف هاتفها عن الرنين بين

مكالمات من الأقارب والصديقات؛ هوايتها المفضلة هي الخروج والتجول وطبعا ككل النساء التسوق؛ عنيدة جدا وعصبية أيضا ..

هذا الاختلاف الكبير بين طباعنا كان السبب الرئيسي في وقوع العديد من الصدامات بيننا، كنت أحاول دوما أن أواجه المشاكل التي تنشب بيننا بحكمة فأناقشها معها سعيا لإيجاد نقاط نلتقي عندها ..

حاربت كثيرا لأجل أن أقلص المسافات التي بيننا حتى نعيش بسلام بدون مشاكل ..

ومرت خمس سنوات وأنجبنا ابنتنا الوحيدة التي ملأت البيت صخبا وحبا واعتقدت أنها ستكون الجسر الذي سيربط بيني وبين والدتها مدى الحياة؛ لا أنكر أني وخلال هذه السنوات كنت قد

أحببتها جدا صار وجودها بقربي سبب سعادتي لا أطيق الابتعاد عنها حتى أني كنت أشعر بالغربة بمنزلي في الأيام التي تقضيها أحيانا لدى عائلتها ..

كنت أثق بها جدا ولا أسألها عن تحركاتها ولا أهتم بمعرفة صديقاتها ومعارفها؛ كانت تجلس أحيانا بالساعات وهي تمسك "بالآي باد" الخاص بها دون أن تتحرك ولم أفكر يوما بمراقبتها ولم أتذمر حتى من إهمالها أحيانا بسبب انشغالها بالأنترنت وبمحادثة صديقاتها التي لا تتوقف على مدار اليوم؛ كنت أقدر أنها هوايتها كما أنها لم تكن أبدا محل شك لدي ... حتى جاء ذاك اليوم اللعين وليته ما كان ..

تركت "الأي باد" بين يدي ابنتنا تلعب إحدى ألعابها المفضلة ودخلت إلى المطبخ لإعداد العشاء؛ كانت الصغيرة تتذمر من وصول الإشعارات التي تضايقها وتعوقها عن اللعب وببراءة أحضرت لي الجهاز وهي تطلب مني أن أوقف تلك الإشعارات أخذته منها مبتسما لأنفذ لها رغبتها ولم يكن حتى في نيتي أن أقرأ الرسائل لكن الرسالة المفتوحة أمامي جعلتني أشعر أن صاعقة كهربائية قد ضربت رأسي، تجمدت وأنا أقرأ الكلام المكتوب لزوجتي من شخص ما، كلام أخجل من ذكره فتحت المحادثة وبداخلي أمل أن يكون فقط أحد المتطفلين المزعجين لكن صدمتي كانت فوق المتوقع ، فقد كانت المحادثة بينهما طويلة ويبدو أنها ممتدة لأشهر وربما سنوات قرأت بعض ما فيها

بسرعة وقد تشوشت الرؤية أمامي فزوجتي كانت تبادله حبا

بحب وغزلا بغزل بل ورغبة برغبة ...

شعرت بيد ابنتي تجرني وهي متذمرة لأني لم أعد لها الجهاز

بسرعة؛ نظرت إليها بحزن ولم أدر ما علي فعله في تلك اللحظة؛

أعدت كل شيء كما كان وأعطيتها الجهاز وابتعدت مسافة عنها

حتى لا تشك زوجتي أني قرأت تلك المحادثة ...

لا أعلم لم سكتت تلك الليلة ولكن شعورا قويا بداخلي أراد أن

يتأكد أكثر من تصرفاتها؛ هل الأمر يتوقف على محادثات شات أم

أنه تجاوزه للمواعدة واللقاء ...؟؟

وهل هذا هو الشخص الوحيد الذي تعرفه أم أنها تعرف أشخاصا

آخرين .. وصل بي الحال لأن أطالع وجه ابنتي النائمة بين يدي

"هل حقا هي ابنتي ؟ ألا يمكن أن تكون ابنة أحدهم وأنا تحملت خطيئتهم ؟"

شعور لا يمكنني وصفه أبدا مهما حاولت فعل ذلك ..

أسبوع كامل توقفت عن فعل أي شيء آخر سوى البحث خلف زوجتي لتزداد صدمتي؛ كيف كنت مخدوعا إلى هذه الدرجة..

اكتشفت أنها على علاقة بهذا الشخص من قبل زواجنا وأنهما عاشا معا قصة حب انتهت بدخولي حياتها لكنها عادت من جديد بعد فترة قصيرة ليستأنفا حبهما دون اعتبار لوجودي ...

ربما لم يلتقيا مرة أخرى بعد زواجنا كما عرفت من خلال قراءتي لمحادثاتهما لكن هذه الأخيرة احتوت على ما يندى له الجبين من حوارات لا تكون إلا بين زوجين ...

المصيبة يا أستاذ أنها لم تكن على علاقة بهذا الشخص فقط؛ بل وجدت محادثات أخرى لها مع أشخاص آخرين ربما ليست بنفس المحتوى لكنها سمحت لرجال غرباء للتغزل بها بل وعرض صورها عليهم كأنها بضاعة تبحث عمن يشتري ...

سؤال فرض نفسه علي وأنا أقرأ كل تلك المحادثات: هل فشلت في أن أكون لها الزوج الذي يلبي لها كل احتياجاتها؟ لا أذكر أنها تذمرت من شيء أو اشتكت من تقصيري في حقها ...

حاولت أن أسترجع أحداث خمس سنوات كاملة كنت خلالها أقدم لها كل ما أستطيع من حب واهتمام؛ لم أبخل بهما يوما حتى كلمات الغزل لم أكن أبخل عليها بها ... فأين الخلل؟

لم أستطع إخفاء الأمر فترة طويلة فبعد تأكدي من خيانتها لم أجد بدا من المواجهة؛ في البداية أنكرت لكن عندما وجدت أني صورت كل تلك المحادثات انهارت لتأتيني اعترافاتها كرصاصات اختارت هدفها الصحيح لتستقر بقلبي وكبريائي ...

اعترفت لي أنها بالفعل كانت تعرف ذاك الرجل قبل زواجنا لكن ظروفه المادية لم تكن تسمح له بالتقدم لطلبها للزواج؛ وعندما خطبتها ووافقت عائلتها على الخطبة لم تجد بدا من الموافقة خاصة وأنها لم تجد ما يعيبني؛ وقررت إنهاء تلك العلاقة نهائيا ..

لكنه عاد يتصل بها بعد زواجنا بأشهر قليلة وطلب منها أن يظلا أصدقاء لأنه يحترمها ويقدرها ويرغب في أن تكون صديقته التي يمكنه الثقة في رأيها وشيئا فشيئا عادت الأمور بينهما لسابق

عهدها ... أقسمت لي أنها لم تقابله ولا مرة رغم محاولاته

المستمرة ...وأنها لم تخني جسديا وما كانت لتفعل ذلك..

ولكن ما الفرق فالخيانة واحدة ؟

اعترفت أيضا أن تلك المحادثات الأخرى التي وجدتها على حسابها

لم تكن سوى تسلية وجدت نفسها تنغمس فيها بالصدفة لتملأ

وقت فراغها بعد استقالتها من العمل أثناء فترة حملها ...

لم أصدق كل ما سمعته منها؛ فلم أكن أتخيل حتى في أسوء

كوابيسي أن زوجتي المحترمة صاحبة الأخلاق التي يشيد بها

الجميع تقوم بكل تلك الأفعال الحقيرة وكأنها مراهقة تبحث عن

فارس أحلام مختبئٍ خلف الشاشات ...

لم يكن هناك سوى حل واحد وهو الطلاق؛ والذي تم بهدوء

فعادت إلى بيت أهلها بعد أن اتفقنا ألا نقول السبب الحقيقي

للانفصال؛ وبالتأكيد ما جعلني أتخذ هذا القرار ليس خوفا على

سمعتها بل على سمعة ابنتي التي لا أعلم كيف يمكن أن تكبر

بشكل سوي إن علمت ما اقترفت أمها من جرائم أخلاقية كما أني

لا أخفيك سرا أن كرامتي لم تسمح لي بذكر الحقيقة لأي كان؛

فماذا يمكنني أن أقول ؟؟...

وبالطبع كانت الصدمة من نصيب العائلة الذين لم يتوقعوا أبدا

حدوث الطلاق بيننا وبيتنا الذي بدا طوال الوقت البيت المثالي ...

ألقي اللوم الكامل علي لأني طبعا الرجل ومن بيده قرار الطلاق؛

وتدخل أناس كثر من عائلتينا وأصدقائنا لمحاولة رأب الصدع

وإعادة المياه إلا مجاريها بيننا ...

لكننا رفضنا كل تلك المحاولات وإن وصلني أحيانا من بعض

المقربين أنها بدت منهارة وكأنها نادمة وترغب في العودة إلى

بيتها...

لا أخفيك سرا أنني فكرت مرارا في إعادتها لعصمتي من جديد

وأنا أثق في أنها لن ترفض؛ وليس لأني لا زلت حتى هذه اللحظة

أحبها- وإن كانت هذه هي الحقيقة للأسف - ولكن من أجل

الانتقام لكرامتي ورجولتي المهدورة ورسمت مخططات لتنفيذ

انتقامي؛ لكني كنت أتراجع عندما تقفز صورة ابنتي الصغيرة أمام عيني ..

لا شك أنك تتساءل الآن أين المشكلة:

المشكلة يا سيدي أني فقدت الثقة في نفسي؛ صرت أشك في كوني أستطيع أن املأ حياة أي امرأة أخرى .. هذا إن وثقت في هذه الأخرى فقد فقدت الثقة في النساء وصرت أراهن جميعهن خائنات يجرين وراء متعتهن فحسب ...

المشكلة الثانية أني خائف على ابنتي من تربية أم بأخلاقها ولا أستطيع في نفس الوقت أن أحرم ابنتي التي لاتزال بحاجة إلى حنان أمها وكيف سأبرر سحب الحضانة منها وأنا لا أريد لأحد أن يعلم حقيقة الأمر ..

وأخيرا أرسلت لي رسائل عدة تطلب مني الصفح والغفران وأنها نادمة جدا على كل ما فعلته؛ وأنها لم تعرف بمقدار حبها لي ولا أهمية وجودي في حياتها إلا بعد ابتعادي عنها ..

لم أعد أستطيع النوم وأنا أفكر طوال الأربع والعشرين ساعة في الحل المناسب أهملت نفسي وعملي الذي بدأ في التراجع ولا أعرف ما هو التصرف السليم لإنقاذ ابنتي ولا كيف يمكنني استعادة ثقتي بنفسي وبالآخرين ؟؟

وهل يمكنني فعلا أن أصفح وأبدأ معها صفحة جديدة من أجل ابنتي ؟ وإن فعلت ذلك هل سأنجح في نسيان ما حدث أو على الأقل تناسيه؟

الموقع: بقايا رجل

4

ارتشف من كوب الشاي الساخن وهو يتطلع من الشرفة إلى السماء المليئة بالغيوم؛ هذا الجو الخريفي يزيد من شعوره بالكآبة والحزن؛ نظر إلى هاتفه الموضوع على الطاولة أمامه؛ أمسكه ليلعب به بين أصابعه مازال يجهل خطواته القادمة لكنه على الأقل استطاع خلال عزلته الاختيارية أن يبدأ بترتيب أفكاره .. فتح الهاتف ليتصل بعادل:

- ها أنت أخيرا تنازلت وقررت أن تهبط من صومعتك لتتصل بي

- ألا تتوقف عن التذمر ؟

- وماذا عنك ألن تغير طريقتك في مواجهة المشاكل؟

- تعلم أني أحب أن أعيد ترتيب حساباتي بعيدا عن أي ضغوط فكف عن تذمرك وأخبرني هل من جديد؟

- أجل لقد اتصلت بالممونين واستطعت أن أصل معهم لاتفاق بتأجيل تسديد ما علينا من ديون أربعة أشهر إضافية

- ممتاز؛ وماذا عن الديون التي ننتظر تحصيلها ؟

- البعض وافق على تعجيل التسديد بعد معرفتهم بما حصل معنا والبعض الآخر أصر على الجدولة الزمنية التي سبق واتفقنا عليها ..

- لا بأس؛ سنرى كيف يمكننا توفير سيولة مالية قريبا لنبدأ بها من جديد...

- أفكر بالحصول على قرض بنكي سيسهل علينا الأمر ولدينا الضمانات الكافية

- لا تستعجل قد لا نحتاج إليه

- متى ستعود أم أنك تعودت على تركي في وجه المدفع ..

- قريبا يا صديقي لا تقلق ما زلت بحاجة لبعض الراحة أنت تعلم أن المشكلة ليست في خسارتي المادية فأنا قادر على تجاوزها وإعادة الأمور كسابق عهدها وأفضل؛ لكن مشكلتي فيمن تسبب بها ...

- لقد حذرتك مرارا ألا تثق به، لم أرتح لعمله معنا منذ البداية

- لا بأس؛ سأتصل بك فيما بعد لأخبرك بما توصلت إليه

أغلق الهاتف كما تعود وأخرج تنهيدة حارة من صدره الذي يشعر به مثقلا بالهموم؛ لكنه لم يستطع منع نفسه من الابتسام وهو يفكر في عادل صديق الطفولة والصبا الذي تعرف عليه في أول يوم له في مدرسته الجديدة؛ ما جذبه إليه هو نشاطه الزائد وثرثرته المرحة التي لا تنتهي ليصبحا صديقين لا يفترقان أبدا؛

استيقظ فزعا ليجد الساعة قد تجاوزت العاشرة صباحا؛ اليوم هو موعد ظهور نتائج الامتحانات النهائية؛ قفز من سريره بسرعة ليغير ملابسه قابلته "فاطمة":

- إلى أين؟ هل ستخرج دون تناول إفطارك

- لقد تأخرت خالتي

أسرعت إليه لتعطيه بعض البسكوت ليأكله على عجل

وصل إلى مدخل الجامعة وهو يعيد محاولات الاتصال بعادل دون جدوى؛ لمحه وهو يقترب منه وعلى وجهه علامات الإحباط والذهول:

- أتصل بك منذ الصباح

- نفذ شحن بطارية الهاتف

- ماذا؟ ظهرت النتائج أليس كذلك؟

هز رأسه بحركات بطيئة وهو يزفر في ضيق: ما الأمر ؟

- لم أكن أتوقع هذه النتيجة كنت واثقا من إجاباتي لا أعرف ما الذي حدث معنا ..

- تحدث بسرعة وإلا أشبعتك ضربا فلم أعد أتحمل الانتظار ..

- سنضطر لإعادة مادتين

- ما الذي تقوله هذا مستحيل ؟؟

هم أن يسأله عن المادتين اللتين رسبا بهما حين اقترب منهما أحد زملائهما مبتسما ومهنئا:

- مبارك لك يا حسن كعادتك دائما متفوق

التفت إلى عادل الذي أخذ يتراجع إلى الخلف استعدادا للفرار:

- عزيزي يجب أن تكون لديك ثقة أكبر في نفسك

اتصل بنورا لتكون أول من يبشره بنجاحه كما تعود كل عام؛ كان سعيدا بنجاحه وتفوقه المستمر سعيد أيضا لأنه قريب من تحقيق حلمه.. في الارتباط النهائي بنورا..

في تلك الليلة طلب منه سعيد أن يبدأ بإدارة شركته بنفسه بعدما قام هو بإدارتها لسنوات طويلة كوصي عليه...

إحساس تملكه تلك الليلة حرمه من النوم بهدوء؛ فهو على عتبة بدء حياة جديدة مستقلا عن الأسرة التي عاش في كنفها لسنوات طويلة ولم يبخلوا عليه بشيء بل لم يشعر ليوم أنه دخيل عليهم عدا مضايقات فريد التي لم تتوقف أبدا..

كان يعلم أن ذاك اليوم قادم لا محالة اليوم الذي عليه أن يعتمد على نفسه ساعده خاله كثيرا وهيئه لتحمل المسؤولية كما يجب...

وضع الكأس الفارغة على الطاولة ليحمل رسالة جديدة وبداخله فضول ليكتشف المشكلة الجديدة ...

الرسالة الرابعة:

﴿البخيل وأنا﴾

قمة الجنون أن يعيش المرء فقيرا ليموت غنيا.

- جوفينال.

أخبرني سيدي؛

ماذا يمكن أن تفعل حين تكتشف في شريك حياتك أسوأ صفة يمكن أن يتصف بها رجل وتكرهها المرأة؟

كيف تتصرف حين تجد أن من تحب يتصف بأبشع طبع يمكن أن تجده في إنسان ؟

رزقني الله بزوج حنون ، ومحب جدا ، طيب جدا ، يشغل وظيفة محترمة بل يمكن أن أقول أنها وظيفة مرموقة براتب جد عال إضافة إلى المنح والحوافز كما أن لديه أملاكا عقارية ورثها عن والده جميعها مستأجرة وتدر عليه دخلا يفوق راتبه بكثير..

في فترة الخطوبة كنت أسعد امرأة في العالم بالفعل؛ كنت سعيدة به وأشكر الله في كل صلاة أنه رزقني برجل مثله كما قلت حنون

جدا وطيب جدا ومتدين أيضا يؤدي أغلب الفروض في المسجد غير اهتمامه بحفظ القرآن ..

لاحظت عليه بعد الأمور البسيطة حينها لكني لم أعرها اهتماما أو ربما فسرتها تفسيرا مختلفا؛ فطوال فترة الخطوبة والتي دامت سبعة أشهر لم يدعوني ولا مرة واحدة لتناول إحدى الوجبات في مطعم أو حتى مقهى وكنت أعتقد أنه ليس من محبي هذه الأماكن العامة، حيث غالبا عندما نخرج معا كنا نتجول في المراكز التجارية أو نذهب للشاطئ أو أي مكان مفتوح؛ هداياه لي كانت دائما بسيطة في ثمنها لكنه والحق يقال كان يختارها بعناية تجعلني أشعر أنها أهم من أي هدية غالية الثمن ...

مواقف كثيرة لاحظت فيها حرصه لكني لم أهتم بها؛ حتى تم الزفاف لأصطدم بالواقع المرير ..

زوجي بخيل جدا ....

فبالرغم من دخله المادي الكبير إلا أنه شديد البخل حتى على نفسه؛ كلمة شراء غير واردة في قاموسه اللغوي ..

بدأت مأساتي معه بعد الزواج مباشرة وخلال أيام شهر العسل التي يفترض فيها أن تكون أسعد أيام العمر بالنسبة لكلينا؛ لم أقم حفل زفاف صاخب وذلك برغبتي؛ بل كانت حفلة بسيطة دعونا فيها الأقارب والأصدقاء المقربين فقط وكانت الحفلة بالكامل على حساب عائلتي التي لم تطالبه بشيء وقتها خاصة وأنه لم يقم بدعوة أحد من عائلته باستثناء والدته وإخوته ..

تحطمت أول أحلامي بقضاء شهر عسل شاعري بتركيا التي لطالما حلمت بزيارتها خاصة وأن دخلنا المادي يمكننا من القيام بهذه الرحلة؛ وبالكاد استطعت إقناعه بصعوبة بالسفر إلى مدينة أصيلة الساحلية لنقضي بعض الأيام بعد أن رفض السفر إلى الخارج بدعوى أن الوقت ضيق ولن يكفينا لرحلة كتلك وأنه لا يملك رصيدا كافيا من الإجازات ولا يمكنه الحصول سوى على أسبوع واحد فقط؛ ووعدني بأننا سنسافر في وقت لاحق ..

ما إن وصلنا إلى هناك حتى وجدته يصر على استئجار شقة مفروشة بدل النزول في فندق بدعوى أننا سنحصل على راحة وحرية أكبر في شقة مستقلة؛ احترمت وجهة نظره لكنني فوجئت

به يبحث في الشقق البعيدة عن الشاطئ والتي تكون طبعا أرخص ..

ساعات طويلة ونحن نتجول مع ذلك السمسار - الذي عرض علينا خدماته - من شقة لأخرى ولا واحدة أعجبته والسبب هو الاختلاف على ثمن الكراء فقد كان يجادل صاحب الشقة لوقت طويل ثم في النهاية ينسحب بدعوى أنها ليست على المستوى المطلوب..

كنت ألمح علامات الضيق واضحة على وجه ذلك السمسار الذي أوقعه حظه السيء معنا ذلك اليوم فلا شك أنه أضاع عليه عمولات لا بأس بها في الساعات التي قضاها برفقتنا ..

ولولا أني رجوته أن يقبل بآخر واحدة بعد أن نال مني التعب ولم أعد أستطيع المشي على قدماي لما وافق بل لم يوافق إلا بعد أن أخبرته أني سأدفع فرق الأجرة التي اختلف مع المستأجر بسببها ..

ظننت أنه لن يأخذ المال مني لكنه للأسف فعل ذلك ...

كان هذا هو الموقف الأول لتتوالى بعد ذلك المواقف الكثيرة خلال أيام رحلتنا، لم يدعوني ولا مرة لنتناول أي وجبة في الخارج بل كنت أطهو الطعام في البيت -وأنا العروس التي كانت تنتظر أن تتدلل - وطبعا لديه أسباب منطقية جدا فمن يدرينا أن الأكل الذي يقدم في تلك المطاعم صحي ونظيف قد نصاب بتوعك معوي بسببه؛ الأفضل إذا أن يكون طعامنا منزلي الصنع ..

عندما نزلنا أول مرة إلى الشاطئ طلبت منه أن نستأجر شمسية وكراسي لنجلس أمام البحر وبالطبع كانالرفض من نصيبي وهذه المرة كان يرغب في التمتع بأشعة الشمس الدافئة والتمدد على رمال الشاطئ الذهبية والنتيجة أني أصبت بضربة شمس ولم أنم تلك الليلة من الصداع طلبت منه أن يحضر لي مسكنا فوجدته يخرج لي من الثلاجة نصف ليمونة لأحزمها على رأسي حتى يختفي الصداع لأنها أكثر فعالية من المسكنات الكيميائية التي ربما تتسبب في إتلاف كبدي ...

في اليوم التالي استأجرت الشمسية من حسابي الخاص ..

لم أحصل على أي هدية تذكارية من تلك المدينة ببساطة لأن لا شيء يعجبه والباعة جميعهم لصوص يضاعفون الثمن ويستغلون رغبة الزوار في الحصول على تذكارات ..

اشتريت بعض الهدايا البسيطة لعائلتي ولوالدته وبالطبع كان من مالي الخاص ...

انتهى شهر العسل وعدنا لنبدأ حياتنا الجديدة؛ وكان الموقف التالي عندما اتجهنا للسوق لشراء مستلزمات البيت..

لن أحكي لك عما يفعله بالباعة فمن سابع المستحيلات أن يشتري بالثمن المعروض فلا بد أن يفاصل وتكون النتيجة إما استسلام البائع أو أنه يدير وجهه عنا ويتركنا دون إجابة ..

ليس هذا فحسب بل أنه رفض أن يشتري نصف ما طلبته من حاجيات بدعوى أنها مجرد كماليات ولسنا بحاجة إليها؛ وفي النهاية كنت أضطر لشرائها من مالي حينها لا يتدخل ويتركني أقتني ما أريد ..

زوجي العزيز يحاسبني يوميا على مائدة الطعام إذا ما وجدني أعددت أكثر من صنف؛ ويعده تبذيرا وسفها سأحاسب عليه يوم القيامة ..

لا زلت أذكر حين ضبطني وأنا أهم بإلقاء بعض الطعام الذي كان متبقيا لدي في الثلاجة بعد أن لاحظت أنه تغير ، وأصر أن الطعام لا زال جيدا بل ومنعني من إعداد وجبة غيره لتكون النتيجة تسمم غذائي ألزمنا الفراش لأيام ..

قد تقول أني أبالغ في وصف المواقف التي لم تدع لي مجالا للشك في بخله؛ لكني أؤكد لك سيدي أن ما ذكرته يعد نقطة صغيرة في بحر ما أعيشه معه بشكل يومي .

لم أخبر أحدا بمشكلتي خاصة عائلتي وبدأت في محاولات لفهم سلوكه؛ وبررته باختلاف تنشئتنا فأنا تربيت في بيت وضعه المادي فوق المتوسط وكنت البنت الوحيدة وسط ثلاث ذكور؛ وبالتالي حصلت على أكبر قدر من الدلال وطلباتي كانت كلها مجابة؛ عائلتي وخصوصا أشقائي من النوع الذي يحب الخروج والاستمتاع وبالتالي كل العطل كنا نقضيها في مدينة مختلفة زرت تقريبا جل المدن السياحية؛ كنا من رواد المطاعم بشكل شبه دائم

نخرج باستمرار للتنزه وغالبا ما تنتهي النزهة بدعوة من أبي لنتناول الطعام بالخارج ليريح والدتي من وقوفها في المطبخ ..

كنا نتبادل الهدايا في المناسبات وبدون مناسبات أحيانا، فأي فرد من عائلتي الصغيرة قد يشتري للأخر هدية لمجرد أنها نالت إعجابه وأحس أنها تناسبه ..

أما زوجي فكان وضعه مختلفا فهو الابن الأكبر توفي والده وهو في سن مبكر ليصبح هو المسئول الأول عن والدته وإخوته ... ربما رغبته في الحفاظ على حقوق إخوته التي وكلت إليه جعلته أكثر حرصا وربما تلك المسئولية كانت سببا رئيسيا في تكوين شخصيته البخيلة..

حاولت تفهم تصرفاته وإن فشلت في تغيير طبعه؛

بعد أشهر قليلة من زواجنا وهبنا الله هدية رائعة هو صغيري حمزة الذي فرح به زوجي فرحا عظيما لكنه لم يبلغ لدرجة أن يشاركني اقتناء مستلزمات الولادة، و لحسن حظي فأنا أيضا لدي وظيفة محترمة وتغطية صحية مكنتني من الولادة في مصحة خاصة رغم تدمر زوجي من ذلك؛ وطبعا بالنسبة له لا فرق بين المصحة الخاصة والمستشفى العمومي وكالعادة دفعت فارق التكلفة من مالي الخاص...

فوجئت به ذات يوم يدخل المنزل وهو يحمل سريرا للصغير كانت صدمة بالنسبة لي فهل نجح حمزة فيما فشلت فيه أنا طوال أشهر ؟؟

لكن الإجابة للأسف كانت لا ... فقد كان السرير هو الشيء

الوحيد الذي أحضره لابنه.....

وجدت نفسي أنفق على مستلزمات الصغير من مدخولي دون أن

يقوم هو بمساعدتي في شيء؛

ذات يوم اكتشفت انتهاء الحفاظات ولم يكن باستطاعتي الخروج

بمفردي فاتصلت به ليحضرهم لي في طريق عودته؛ لن أحكي لك

عما سمعته منه يومها من تأنيب وتقريع لأني نسيت أمر

الحفاظات حتى انتهت من البيت..

وعندما وصل أحضر لي نوعا آخر غير الذي عودت صغيري عليه؛

وكان جوابه أنه لم يجده في المحل وأحضر المتوفر والحقيقة طبعا

كانت أنه اختار أرخص الأنواع واجهته بالأمر فما كان جوابه سوى

وصلة تأنيب جديدة لأني مبذرة وأنه كان بإمكاني الاعتماد على الحفاظات المنزلية المصنوعة من قطع القماش التي يمكن غسلها وإعادة استعمالها لأنها أفضل من هذه الحفاظات التي لا نعلم من أي مادة صنعت وماذا يمكن أن تسبب للصغير من ضرر ...

توفري على راتب جيد جعلني أشارك في مصاريف البيت بحيث أقتني كل ما أحتاجه وأعلم أنه لن يحضره، مع الوقت بدأ يتكاسل حتى في اقتناء الأساسيات حتى وجدت نفسي أنني من أصبحت أقوم بعملية الإنفاق على البيت وهو فقط يساعد في ذلك ..

تحملت كثيرا بخله وكنت أقول لنفسي لا بأس مادام لا يبخل علي بمشاعره وحبه لكني وبعد مرور سنتين على وزاجنا أصبحت أشعر بالتعب ولم أعد أتحمل ..

فكل زوجة تحب أن يقوم زوجها بالإنفاق عليها وإحضار الهدايا لها ولو في مناسبات خاصة..

لكن ذلك لم يحدث أبدا منذ زواجنا بل الأسوء هو ما حدث وأصبحت أنا المسئولة عن مصاريف البيت؛ لو كان زوجي محتاجا ولا يملك دخلا كافيا لساعدته عن طيب خاطر لكن الطامة أن دخله كبير جدا وأنا أرى الفرق بين حياتنا وحياة إخوته الذين يعيشون في رفاهية فقط من مداخيل ميراثهم فكيف به وهو يملك بالإضافة لذلك راتبا شهريا كبيرا؛

بالأمس وأنا أقوم بتنظيف الغرفة وجدت بالصدفة ورقة حسابه البنكي لأصدم بالرقم المسجل والذي فاق كل توقعاتي ..

فزوجي يملك الملايين ويبخل علينا بالقليل ..

فكرت أخيرا في طلب الطلاق لأني لم أعد أطيق هذه الحياة لكني مع ذلك لا أنكر أني أحبه ولا أريد الابتعاد عنه؛ أريد حلا يجعل زوجي يغير طبعه ويصبح شخصا عاديا يقتنع أن المال ما وجد إلا لننفقه على أنفسنا ونستمتع به لا أن نكنزه في البنوك حتى يستمتع به الورثة فيما بعد ....

رمان روایات

5

أنهى مكالمته مع محاميه الخاص الذي أخبره بإنهاء الإجراءات اللازمة لبيع قطعة الأرض التي يمتلكها؛ ثمنها كان كافيا جدا لحل أزمته المادية وتجاوزها بأريحية كبيرة ...

اتجه إلى خزانة الملابس ليخرج ألبوم صوره؛ رغم نجاحه في احتواء الأزمة المالية التي كادت تعصف به إلا أن شعورا بالضيق تملكه وهو يتخلى عن تلك الأرض..

تطلع إلى صورته وسطها فاتحا ذراعيه وابتسامة واسعة تزين وجهه:

" - على هذه الأرض سأبني البيت الذي طالما حلمت به؛ فيلا صغيرة تحيطها حديقة رائعة أزرع فيها كل أنواع الزهور خاصة الياسمين الذي تحبه نورا ..

- هل هذه أحلام رجل أعمال ناجح من المفترض عزيزي أن تقول لي سأبني فوق هذه الأرض مشروعا سكنيا ضخما سيدر علينا أرباحا بالملايين ..

- وما لي أنا والمقاولات السكنية .. لا أريد للشركة أن تحيد عن اختصاصها ثم لماذا تصر أن تعكر علي صفو هذه اللحظات السعيدة ..

ضحكة صاخبة أطلقها عادل وهو يخرج هاتفه ليلتقط له الصورة تلو الأخرى: إذا لا بأس من توثيق هذه اللحظات التاريخية .."

قاوم نزول دمعة أصرت على الخروج من مقلتيه وهو يغلق الألبوم بعنف ويلقيه جانبا على السرير؛ لم يتخيل أن تكون هذه الأرض التي حلم بامتلاكها ليشيد عليها بيت أحلامه هي منقذته من أزمته المالية ..

" – أظن أنه حان الوقت لأنتقل للعيش في شقتي ..

أخبر خاله برغبته في الاستقلال بحياته والعيش بمفرده في الشقة التي تركها له والداه؛ ورغم اعتراض هذا الأخير في البداية لكنه لم يجد بدا من الموافقة لأنه يعلم أن هذا هو الوضع الصحيح مع وجود فتاة شابة معه في نفس المنزل بل ويعلم مشاعره تجاهها ..

كان حسن قد حاول الانتقال إلى شقته قبل سنوات بمجرد التحاقه بالجامعة لكن فاطمة اعترضت وبشدة ورفضت الأمر مما جعلهم يخضعون لرغبتها ..

يعلم أن الخطوة صعبة لكنها ضرورية؛ قرر أيضا أن يخبر خاله عن رغبته في إتمام ارتباطه الرسمي بنورا بالزواج في أقرب وقت؛ سعادة لم يستطع خاله إخفاءها وهو يضمه إلى صدره فلن يجد لابنته زوجا أفضل من ابن شقيقته الذي تربى على يديه ويعلم أخلاقه جيدا ..

لكن هذه النظرات السعيدة تحولت إلى أخرى حائرة وهو يبلغه أن الأفضل أن ينتظرا حتى تنتهي هي بدورها من دراستها ..

زاد شعوره بالقلق هل يمكن أن يكون إحساسه صادقا؟ بالتأكيد

هي من طلبت تأجيل الارتباط فقد كان متأكدا من موافقة خاله

على إتمام الزواج ..

ألا تبادله نفس الحب؟ مرات كثيرة شعر بفتور في تصرفاتها

تجاهه وكأنها تؤدي واجبا مفروضا عليها ..

لم يجد بدا من أن يتحدث إليها عما قرره خاله بخصوص

ارتباطهما لتبدو له غير مهتمة وهي تجيبه أنها ستنفذ كل ما

سيقوله والدها ..."

لا يعلم لم تصر تلك الذكريات على ملاحقته في عزلته؛ شعور

بالضيق يتزايد جعله يخرج إلى الشرفة ليتطلع إلى النجوم ربما هو

ليس مستاءَ من تلاحق الذكريات بقدر استيائه من رؤيته

الواضحة للأمور الآن؛ كان واضحا أنها لم تبادله نفس الشعور وإن لم تُظهر له رفضها؛ لكنه أصر على حبها وأصر على الزواج منها لتكون هذه هي النتيجة ...

اتجه إلى الداخل من جديد ليبحث عن رسائل الزيتوني فهي الوحيدة التي تجعله ينفصل عن العالم ليعيش مع مشاكل الناس وهمومهم ...

الرسالة الخامسة:

﴿ثمن الخطيئة﴾

من يتصرف بدافع الخوف يظل خائفا، ومن يتصرف بدافع الثقة

بالنفس يتطور.

- روجر فريتس

أستاذي الفاضل؛

أنا أؤمن بعدالة السماء وأن من أخطأ ولا شك سينال عقابه في الدنيا قبل الآخرة ..

ربما لست متدينا بما فيه الكفاية لكنني تربيت في بيت محافظ؛ علمني والدي منذ الصغر أن أبتعد عن فعل المحرمات وكان يقول لي دائما أن الله لا يترك أحدا أخطأ بدون عقاب وغالبا ما يكون في الدنيا قبل الآخرة ..

لهذا كنت حريصا ومنذ صغري على القيام بكل واجباتي الدينية فأصلي كل الصلوات في وقتها ولا أقرب المحرمات من سجائر وخمر وغيرها ..

حتى علاقاتي مع البنات كانت رسمية جدا وفي أضيق الحدود لم تكن لي يوما صديقة مقربة وحتى زميلاتي في الجامعة ما كان يجمعني بهم سوى إلقاء التحية لا غير ..

لطالما أخبرني أصدقائي أني متزمت وأبالغ في تديني وربما تساءلوا إن كنت معقدا؛ لكني لم أكن أهتم لكلامهم فخوفي من عقاب الله فوق كل رغباتي ..

لا أنكر أني انجذبت مرارا تجاه فتاة أو أخرى لكني نجحت في مقاومة رغبتي تلك في التقرب إلى إحداهن خوفا من أن تتطور العلاقة بيننا لتسير في طريق الخطيئة ...

ومع حرصي الشديد ومع خوفي الأشد إلا أنني أخطأت ...

نعم سيدي لقد أخطأت ووقعت في المحظور وارتكبت فاحشة كبرى .." الزنا "

كانت البداية عندما أنهيت عامي الجامعي الأخير بتفوق كبير؛ واقترح بعض أصدقائي أن نسافر إلى أروبا احتفالا بنجاحنا وتفوقنا...

لم يرفض أبي بل رأى أنها فرصة جيدة بالنسبة لي لأرى العالم وأتمتع بعض الوقت قبل أن أعود لأبدأ رحلتي الجديدة في العمل إلى جانبه ..

سافرنا وكنا ثلاثة أصدقاء وكانت هذه المرة الأولى التي أزور فيها بلدا غربيا وتحديدا فرنسا؛ وما إن وطأته قدماي حتى انبهرت بكل شيء ..

اختلاف كبير بين ما شاهدته هناك من مظاهر حضارية وبين ما يوجد لدينا في بلدنا ..

كنا قد وضعنا برنامجا يمكننا من مشاهدة كل الأماكن السياحية بباريس العاصمة التي كانت وجهتنا ..

ثلاثة أيام ونحن نتجول بين الشوارع والمتاحف والمزارات كنت سعيدا جدا بهذه الرحلة برفقة أصدقائي؛ حتى جاء اليوم الرابع ..

سبقتهم إلى الفندق بعد أن شعرت ببعض التعب ولم أستطع مواصلة السهر؛ استلقيت على فراشي وأطفأت الأنوار لأنعم بنوم هادئ فقد كنت أعلم أنهما لن يعودا قبل الصباح كما تعودنا كل ليلة، لم تمر سوى ساعات قليلة حتى سمعت جلبة وضجيجا فاستيقظت لأجدهما قد عادا ومعهما ثلاث فتيات بملابس

تكشف أكثر مما تخفي .. قفزت من سريري مذهولا وأنا أسألهم عما أراه وعن سبب إحضارهم للفتيات إلى غرفنا بالفندق بل تحديدا إلى غرفتي ..

ابتسم صديقي وهو يشدني من ذراعي ليبعدني عن المجموعة التي كانت تتطلع إلى رد فعلي لرؤيتهم باستغراب وأخبرني أنهم تعرفوا على الفتيات أثناء سهرتهم في أحد الأندية الليلية وأنهن لم يمانعن في قضاء الليلة برفقتنا وبالطبع بما أنهن ثلاثة فلا بد لي من مشاركتهم هذه السهرة والقبول بإحداهن ضيفة في غرفتي ..

رفضت بقوة وحاولت إقناعه بأخذ الفتيات إلى أي مكان آخر بعيدا عني وأني أبدا لن أشاركهم في هذه السهرة الماجنة لكني فوجئت بإحداهن وهي تقترب لتضع يدها على كتفي بدلال

وتسألني عن سر عصبيتي وغضبي البادين على وجهي بالطبع فلم تكن تفهم ما نقوله لأننا كنا نتحدث بالعربية ..

رعشة سرت في جسدي وهي تمرر كفها الناعم على صدري وأنفاسها الساخنة تلفح وجهي لأجد نفسي وقد استسلمت تماما لسحرها ولم أستفق من نشوتي إلا عند الفجر وهي نائمة إلى جواري ..

غضبت من أصدقائي الذين أوقعوني في هذا الفخ وأخبراني أنهما أرادا المزاح معي فحسب؛ إحساس بالذنب تملكني منذ أن استيقظت ذلك الصباح ولم أستطع حتى النظر إلى تلك الفتاة النائمة أو الحديث معها بل طلبت من أحدهما أن يقوم بالمهمة نيابة عني حتى تغادر الفندق ..

قررت إلغاء بقية الرحلة والعودة إلى بلدي وشعور أني صرت ملوثا يسيطر علي لدرجة أنني صرت أستحم تقريبا كل ساعة أو ساعتين حتى استغرب أهلي الأمر لأتحجج بشدة الحر ولحسن الحظ أننا كنا في فصل الصيف حينها ..

بعد أيام قليلة من عودتي بدأت مشكلتي بكابوس مزعج بأن عدالة السماء ستطالني وسأعاقب على جريمتي ..

ولأن العقاب يأتي دوما بطريقة لا نتوقعها ولكن بالتأكيد نستحقها؛ فقد بدأت مخاوفي تكبر شيئا فشيئا وأنا أنتظره ولأن الانتظار والتخمين أشد ألما من حدوث ما نخشاه فقد هجرني النوم ...

وتملكني خوف شديد وأنا أنتظر تحقيق عدالة السماء؛ حتى مرضت وارتفعت درجة حرارتي ورفضت الانخفاض رغم تناولي للأدوية اللازمة؛ مرضي استمر لأيام واقتنعت أنه العقاب بسبب ما فعلته في فرنسا ... وقفز إلى ذهني مباشرة مرض الأيدز لاشك أن تلك الفتاة نقلته إليّ ليلتها ..

صرت أفتح الأنترنت لأبحث عن الأعراض الأولى للمرض وأجدها تنطبق تماما على حالتي فيزداد خوفي؛ ماذا سأقول لأهلي عندما يعلمون بالأمر؟ كيف سأفسر لهم إصابتي بهذا المرض اللعين ..؟

أسبوع كامل وأنا على هذه الحال قبل أن يقنعني أخي بالذهاب للمستشفى لأكتشف أني أعاني من ميكروب في الأمعاء سبب لي كل تلك الأعراض المرضية ووصف لي الطبيب العلاج المناسب ..

حمدت الله كثيرا وبكيت كثيرا ليلتها؛ لكن ما إن جاء الصباح حتى عادت إلي هواجسي فتشخيص مرضي ليس معناه عدم وجود فيروس الأيدز بدمي ...

تغيرت حياتي تماما وأنا أعتكف أمام حاسوبي بغرفتي أبحث في المواقع الطبية عن الأعراض التي يسببها مرض فقدان المناعة وأقارنها بكل ما أشعر به؛ حتى أنني بالفعل أصبحت أشعر بكل عرض أقرأ عنه .. اختفت شهيتي للطعام وللخروج ولفعل أي شيء آخر ..وكل ما أفكر به أن المرض ولا شك في طريقه إلي...

قررت أخيرا أن أتحلى بالشجاعة اللازمة وأجري تحليلا للدم لأتأكد من وجود الفيروس؛ وكان قد مر على الواقعة أقل من شهر

والحمد لله كانت النتيجة سلبية وأكد لي الطبيب أني خال من المرض اللعين ...

لكن هذا لم يمنع هواجسي من الاستمرار في السيطرة على تفكيري؛ ماذا إن كان ظهور المرض يأتي متأخرا بعد عدة أشهر وليس شهر ا واحدا؟ ماذا إن أخطأ المختبر الذي أجريت فيه الاختبار؟

لم أعد أستطيع النوم فكلما نمت إلا وطاردتني الكوابيس واستيقظت فزعا؛ حياتي انقلبت رأسا على عقب حتى عملي لم أبدأ به بعد رغم تأنيب أبي المتواصل لي ..

ومع كل تلك المشاكل التي أعاني منها وجدت أبي يخبرني أنه قد قرر أن يخطب لي ابنة أحد أصدقائه والذي تجمعه به علاقات عمل مشتركة؛ ليتم الزفاف في أقل من شهر؛ بالطبع لم يكن أمر

الخطبة بجديد فقد سبق وفاتحني والدي قبل تخرجي ووافقت على هذا الزواج ..

لكن اليوم كيف يمكنني أن أتمم هذا الزواج وأنا أخشى أن أكون موبوءاً؟ وإن رفضت ماذا سأقول لوالدي عن سبب رفضي وقد وافقت سابقا؟؟..

أشعر أني غريق يبحث عن أي قشة يتعلق بها لكني لا أجد أمامي سوى بحر مترامي الأطراف، أعدت إجراء الاختبار مرة أخرى بمختبر ثان وثالث والنتيجة كانت واحدة – عدم وجود الفيروس – لكني مع ذلك لا أصدق وأشعر أن ما فعلته لن يمر هكذا دون عقاب ...

فكرت في إخبار أبي بكل ما فعلته لكني مازلت لا أستطيع أخاف أن أسقط من عينيه وأخشى من الفضيحة ...

فماذا أفعل ؟

6

رنين هاتفه المتواصل لم يترك له الفرصة لاستكمال حلاقة ذقنه فاتجه إليه ليجيب:

- هل كان علي أن أدع هاتفي مغلقا حتى أتخلص من ملاحقتك المزعجة...

- هكذا يكون جزائي وأنا الذي أسعى لإبلاغك بالأخبار السارة أولا بأول

- أعتذر منك يا بشير؛ هل هناك أخبار جديدة ؟

- كلا طبعا ولكني أردت أن أسألك متى ستعود أريد أن أحصل على إجازة بعد أن عادت الأمور إلى نصابها

- قريبا بإذن الله؛ ثم لم تريد الإجازة فالعمل عبادة

- ماذا يا شيخنا ألم تسمع أيضا أن لبدنك عليك حقا؛ أم أن الراحة من حقك أنت والشقاء من نصيبي

- هل من أخبار عن فريد ؟

- ولم هذه السيرة العفنة الآن؛ لم أبحث عنه ولا أريد أن أسأل عنه أعلم أنك لن تتهمه بسرقة الشركة من أجل خالك وزوجته؛ لذا لم أجد هناك أي سبب للبحث وراء أخباره

- ونور ؟ ألم تعرف عنها أي شيء ؟

- بإمكانك أن تتصل لتسأل عنها بنفسك أظن أن من حقك الاطمئنان على ياسمين لا يمكنها أن تحرمك من ذلك وربما تغير رأيها إذا علمت أن الشركة تجاوزت خسارتها

- ما الذي تقصده؟

- قصدي أنت تعلمه جيدا؛ لقد حذرتك من أبناء خالك مرارا وتكرارا لكنك لم تستمع لنصائحي أعماك الحب عن رؤيتها جيدا

- لم تعد هناك أي فائدة من الكلام؛ ربما كنت محقا فهي لم تقبل بالزواج مني سوى تنفيذا لرغبة خالي

- ومن أجل مالك أيضا

" مر عام كامل منذ أن تولى إدارة الشركة واستقل بحياته؛ شعوره بالوحدة يزيد يوما بعد يوم رغم أنه كان معظم الوقت في بيت خاله حاول كثيرا خلال هذه السنة أن يقنع نور ا بإتمام زواجهما وأنه لن يكون عائقا لدراستها وتفوقها كما كانت ترغب؛ لكنها دوما كانت تجد الحجج للتأجيل؛ شعور كان ينتابه كثيرا أنها

ابتعدت عنه ولم تعد بذاك القرب الذي كانت به؛ لكنه كان دوما يطرد ذاك الشعور ليقنع نفسه أن بعدها أمر طبيعي فليس من اللائق قربهما دون رابط شرعي وكان يحترم رغبتها تلك ويتفهمها بل كان أكثر منها حرصا وخوفا عليها ..

ورغم علاقته المتوترة على الدوام بفريد إلا أنه لم يستطع رفض طلب خاله بتوظيفه في الشركة بعد أن فشل في الحصول على عمل جيد في مكان آخر..

حذره عادل كثيرا من دخول فريد إلى الشركة لمعرفته التامة بأنه يكرهه ولا يريد له الخير أبدا؛ وعندما وجد ألا مفر من ذلك اقترح أن يعطيه وظيفة يكون فيها بعيدا تماما عن أماكن صنع القرار ..

كان حسن قد أصر على عمل عادل معه لثقته الكبيرة به ليكون ذراعه الأيمن بل ونائبه الذي يدير العمل كما لو أنه صاحب الشركة الفعلي ..

حبه الكبير لخاله واعترافه بالجميل لما قدمه له جعله لا يرفض له طلبا؛ وكان هذا الأخير لا يشك في إخلاص ابنه في العمل وعدم قدرته على إيذاء قريبه فعينه في قسم المحاسبة – طبقا لمؤهلاته - ليصبح بعد أشهر قليلة رئيسا للقسم ...

انتهى العام الدراسي أخيرا وأنهت نور ا كليتها ليعيد حسن طلبه من جديد ..

وافق خاله بالطبع وطلب منه بعض الوقت حتى يستشيرهم ليتفقوا على الموعد المناسب؛ لكنه فوجئ في نفس اليوم باتصال

متأخر من فاطمة تخبره أن خاله أصيب بأزمة صحية وأنهم نقلوه إلى المستشفى التي بقي في عناياتها المركزة أسبوعا كاملا بعد أن شخص الأطباء حالته بنزيف في المخ نتيجة ارتفاع شديد لضغط الدم ..."

ضم ذراعيه ليحصل على بعض الدفء بعد أن نجحت تلك النسمة الهوائية الباردة في إصابته بالقشعريرة؛ وإن كان لا يعلم حقا إن كانت نتيجة البرد أو تلك الذكرى التي قفزت إلى ذهنه في هذا الوقت ..

دخل إلى الغرفة بعد أن أغلق الشرفة توجه للهاتف ليتصل بنور ا لكنها لم تجبه كما فعلت للمرة التي لم يعد يعرف عددها هذا اليوم؛ نقر بخفة على شاشته رسالة نصية:

" أريد أن أتحدث إلى ياسمين .. أرجو أن تجيبي على الاتصال فلا أريد أن ألجأ لطرق أخرى "

انتظر بعض الوقت قبل أن يعيد الاتصال ليصل إلى مسامعه صوت صغيرته الفرح؛ ابتسامة عريضة ارتسمت على ثغره وهو يتحدث إليها بل ويستمع إليها تحكي له عما فعلته في غيابه...

أنهى الاتصال ليخفي وجهه بين كفيه ويضغط عليه بقوة؛ لا يعلم كيف سيتصرف ولا كيف سيستعيد ابنته ، فهذا ما أصبح يهمه الآن.

رفع رأسه نحو الطاولة التي مازال يضع عليها تلك المجموعة من الرسائل الوحيدة القادرة على فصله عن عالمه ....

الرسالة السادسة:

﴿دمروا حياتي﴾

الهدف الأكبر للسحرة أن تشقى نفس الإنسان.

سيدي؛

لا أعلم كيف ابدأ سرد قصتي الغريبة التي قد لا يصدقها البعض ولكنها للأسف حقيقية؛ فبكل بساطة تعرضت للسحر الأسود ..

قد تظن أنني ممن يؤمنون بالخرافات والدجل بسهولة؛ لكن هذا غير صحيح لولا أنني عشت تجارب وأحداث أكدت لي بما لا يدع مجالا للشك أني كنت ضحية تعرضي لسحر خبيث ..

ولأعرفك بنفسي أكثر فاسمي هو ابتسام لكن البسمة غادرت حياتي منذ سنوات، لن أصف نفسي بالجمال فأنا فتاة عادية أملك من جمال الملامح ما يجعلني راضية عن نفسي والحمد لله؛ من عائلة متواضعة ومحافظة؛ أتمتع بقدر من الذكاء أهلني للتفوق

في جميع مراحل حياتي التعليمية فلا أذكر سوى أنني كنت دوما الأولى في فصلي ومن الأوائل إن لم أكن الأولى في مدرستي ..

أنهيت دراستي بحصولي على درجة الدكتوراه في الفيزياء ومباشرة بعدها حصلت على وظيفة ممتازة تدرجت في السلم الوظيفي بسرعة وبعد سنوات قليلة من عملي تقدمت لشغل منصب رئيس مصلحة وحصلت عليه..

أنا الآن امرأة ناجحة جدا في عملي وجميع من حولي يحبونني ويحترمونني، ماديا صرت أمتلك شقة خاصة وسيارة ورصيدا لا بأس به ..

وها أنا ذا اليوم أتجاوز الأربعين من عمري ولا زلت عازبة ...

في بداية حياتي كان الزواج بالنسبة لي أمر غير وارد أبدا في قاموسي ولم يكن الارتباط هاجسا يؤرقني؛ ولم يكن ليخطر في بالي مطلقا، بل على العكس تماما كنت حينما أجلس مع صديقاتي أو قريباتي وينتقل الحديث بيننا لموضوع الزواج والارتباط أنسحب بهدوء متعللة بأي شيء حتى لا أسمع حديثهم، ولا أعرف لم كنت أفعل ذلك؛ حتى صار الجميع يعلمون أمري ويتجنبون الحديث في الموضوع أمامي وكانت صديقاتي يسألنني كثيرا عن سبب خوفي حتى من الحديث عنه فكنت أتعلل أن كل ما في الأمر أنني لن أفكر به قبل إنهاء دراستي ..

خلال هذه الفترة قابلت أشخاصا كثر حاولوا التقرب مني لكني صددتهم وتجاهلتهم تماما لينسحبوا من الساحة حفظا لكرامتهم؛

أيضا تقدم لي البعض ولم يكن حظهم أحسن من غيرهم فكان الرفض هو جوابي الوحيد وكان مبرري رغبتي في إتمام دراستي العليا ..

وانتهيت وبدأت مرحلة جديدة في حياتي بعد أن دخلت مجال العمل، واستمرت محاولات التقرب لي من البعض؛ واستمر معها أسلوبي الجاف لإبعاد كل من سولت له نفسه أن يقترب من منطقتي المحذورة .. واستمر رفضي أيضا للعرسان هذه المرة كنت أبحث عن أي عذر مهما كان يبدو غير منطقياً في نظر الجميع لكني كنت أتشبث به لأبرر رفضي؛ لكن الحقيقة التي لا يعلمها أحد أن إحساسا بالرعب كان يتملكني لا يمكنني وصفه بمجرد سماع اسم خاطب أو بمجرد أن يتقرب مني أحدهم ..

كنت أشعر بضيق في صدري يتلبسني ولا أتخلص منه إلا بعدما أجد سببا للرفض لينتهي الموضوع وأطمئن أن أحدا لن يحدثني أو يناقشني في الأمر...

سعادة لا توصف تغمرني عندما أجد سببا للرفض وكأني وجدت كنزا لا يقدر بثمن ...

وظل الوضع هكذا حتى تجاوزت الثلاثين؛ ومع ضغط أسرتي وعائلتي بأني يجب أن أتزوج شأني شأن جميع صديقاتي وقريباتي اللواتي من سني واللواتي سبقنني إلى بيت الزوجية بل وبعضهن صرن أمهات أيضا ..

عندها قررت أنه علي إعطاء الفرصة للطرف الآخر ربما استطاع أحدهم اختراق حصوني وتخليصي من هذا الرعب الذي يتملكني من فكرة الزواج ..

لتبدأ فصول أخرى مختلفة لكن نتيجتها واحدة ..

فكلما تقدم لي عريس وافقت مبدئيا بالطبع على مقابلته؛ تمر المقابلة الأولى – والوحيدة - في أحسن الظروف ويكون الخاطب سعيدا جدا بمعرفتي بل ربما يبدأ بالحديث عن المستقبل أيضا لكنه يختفي فجأة ولا يعود أبدا ...

وسأحكي لك بعض التجارب حتى تعرف كيف كانت تمشي الأمور بالنسبة لي:

ذات مرة أخبرتني إحدى زميلاتي في العمل أن أحد أقاربها يبحث عن زوجة بمواصفاتي تماما وأنها رشحتني له؛ بالطبع كان يجب أن نلتقي لنتعرف على بعضنا بحضور زميلتي التي انسحبت لتترك لنا مساحة للحديث؛ كان شابا وسيما إلى حد ما مستواه الثقافي والعلمي جيد جدا، عندما تحدثنا لم تخف علي نظرة الإعجاب في عينيه؛ ولا الفرحة التي كانت تطل منهما بل حتى أنه أخبرني بذلك صراحة وقال أن الله أخيرا استجاب لدعائه المتواصل بأن يرزقه بالزوجة التي يتمنى ..

انتهى اللقاء على وعد بمواصلة التواصل بيننا وأخبر قريبته بأنه أعجب بي جدا وأنه ينتظر فقط رأيي ليتمم الخطبة ..

جاءتني زميلتي تلك بعد فترة لتسألني إن كنا قد حددنا موعدا لأفاجئها بأنه لم يتصل بي وأنه منذ ذلك اللقاء اختفى تماما ..

عريس آخر كنت أراه مرارا يأتي إلى عملي وتحديدا لأحد زملائي؛ وكلما التقيته إلا ولمحت نظرات الإعجاب التي يرمقني بها وابتسامته التي تتسع ما إن يراني؛ بعد فترة تحدث لي زميلي ذاك ليطلب الإذن في منحه رقم هاتفي بعد أن أخبره عن نيته للتقدم لخطبتي وطبعا بتزكية من زميلي هذا الأخير لم يتوانى عن مدحه ومدح أخلاقه أمامي فقبلت ...

لكنه لم يتصل حتى يومنا هذا ...

تكررت هذه المواقف معي بشكل غريب حتى أنه أحيانا يصل الموضوع للاتفاق الفعلي على الخطبة مع عائلتي ولكن قبل الموعد يختفي العريس دون سبب؛

كل هذا جعلني أصاب بالاكتئاب فصرت أحب العزلة وأجلس في غرفتي بالساعات؛ أعتذر باستمرار عن حضور المناسبات الاجتماعية حيث صرت أرى نظرات الشفقة أو ربما الشماتة في عيون الجميع من حولي .. صارت الكوابيس تطاردني باستمرار فأستيقظ فزعة كل ليلة وأحرم من النوم ...

حتى جاء اليوم الذي كنت فيه في زيارة لإحدى قريباتي لنتحدث في الموضوع فصارحتني بشكها كوني مسحورة وأن الأمر تجاوز معي حد المعقول؛ صدمت بكلامها ورفضته في البداية جملة

وتفصيلا؛ فكيف لفتاة متعلمة مثلي أن تصدق مثل هذه الخرافات؛ لكن عندما عدت إلى المنزل لم أستطع أن أمحو الفكرة من رأسي ووجدتها تسيطر عليّ بشكل كبير ولم يكن أمامي سوى فتح حاسوبي والبحث بين المواقع عن أعراض السحر ونتائجه فوجدت معظم تلك الأعراض تنطبق علي بنسبة كبيرة، ضيق صدري؛ ورعبي الغير المبرر من الزواج رغم أني أعيش وسط بيت هادئ ليس به مشاكل تجعلني أنفر من الزواج فوالداي متحابين والحمد لله بل لم أر من تجارب من حولي ما يجعلني أرتعب بهذا الشكل المبالغ فيه؛ كوابيسي المخيفة التي تلازمني منذ فترة طويلة وأخيرا اختفاء العرسان بشكل يدعو للاستغراب بعد أن قررت منح نفسي فرصة للزواج ...

تملكني الرعب وأنا أقرأ أن الساحر يسخر جنيا ليلازم المسحور ويتسبب في كل تلك الأعراض حتى يمنعه من الزواج؛ فما كان مني سوى الاتصال بقريبتي تلك لأحدثها عن مخاوفي واسألها عما يمكننا فعله لحل هذه المشكلة؛ أخبرتني أنها ستسأل عن شيخ يكون مصدر ثقة لأرقي نفسي عنده وأتخلص من السحر .. وهنا بدأ فصل جديد موجع في حياتي...

ذهبنا للراقي الأول والذي أكد لي تعرضي لسحر أسود من شخص مقرب مني -طلبت منه ألا يخبرني من يكون فلم أرغب في معرفة من تسبب لي بكل هذا الأذى لخشيتي أن يكون هذا القريب أقرب مما أتصور لكني أعلن لك أنني أيا كان لن أسامحه أبدا أمام الله - المهم بعد الرقية التي استمرت لأكثر من حصة

والتي كان الشيخ خلالها يقرأ القرآن فقط تحسنت حالتي كثيرا حيث تخلصت من الكوابيس المخيفة وشعرت براحة أكبر؛ لكني لم أتوقف عن تجربة الرقية مع أشخاص آخرين فكلما سمعت بوجود شخص قادر على تخليصي من السحر بسرعة وبكفاءة عالية إلا واتجهت إليه مما جعلني عرضة لعمليات نصب متتالية والبداية كانت حينما أخبرتني إحدى صديقاتي بوجود امرأة تستطيع فك جميع أنواع السحر حتى الأسود الذي يصعب التخلص منه فذهبت لزيارتها رفقة والدتي التي كان قد شكل لها الأمر صدمة كبيرة؛ كانت تلك السيدة عجوزا بملامحها السمراء المخيفة شعرت بانقباض شديد ما إن رأيتها وقررت عدم الرجوع إليها مرة أخرى لكنها استطاعت في الجلسة الأولى اكتساب ثقتي

وثقة أمي خاصة بعد أن سردت لنا تفاصيل كثيرة عن حياتنا الخاصة وأخبرتني أنني بالفعل ضحية سحر قام به أحد أقاربنا حسدا منه ورغبة في عدم زواجي كما أخبرت أمي أنها أيضا وباقي أفراد الأسرة جميعنا تعرضنا للسحر الذي أثر في كل فرد منا بشكل مختلف عن الآخر ..

طلبت منا في البداية مبلغا بسيطا مقابل بعض الأعشاب التي قدمتها لنا وطلبت منا شربها وبعض الأحجبة لنلبسها ... على أن نعود إليها مرة أخرى لاستكمال العلاج الذي أكدت لنا أنه سيتم في جلسات كثيرة؛ ومع توالي اللقاءات زادت طلباتها وكبرت المبالغ التي تأخذها مستغلة خوف والدتي الشديد ورغبتها في التخلص من السحر ...

شهرين كاملين ونحن نتردد عليها قبل أن أدرك أنها مجرد نصابة أخذت منا الكثير من الأموال دون فائدة ..

بعدها قرأت في أحد المواقع على الأنترنت عن راقي من بلد عربي يقدم الرقية لمن يريد دون مقابل؛ لم أتردد في الاتصال به ليجيبني مساعده ويحدد لي موعدا للتحدث إليه ..

وبالفعل كلمته ليخبرني بتفاصيل حياتي بل وبالكثير من الأمور التي لا يعلمها أحد غيري؛ انبهرت بقدراته وصدقت أنه بالفعل قادر على تخليصي من هذا السحر اللعين الذي أكد لي أنه قديم جدا ومن الصعب التخلص منه وسيأخذ وقتا طويلا ومجهودا أكبر للتغلب على الجني المارد الذي يحرسه؛ طلب مني أن أرسل له مبلغا من المال ليشتري مستلزمات إبطال السحر؛ ولم أتردد في

إرساله ليكون الحلقة الأولى في سلسلة من الطلبات المتتالية

بدعوى أن هناك العديد من الأعمال التي دفنت قديما وأن عليه

التخلص منها أولا وكلها متعلقة بعقدتي...

أرسلت له مبالغ خيالية دون فائدة لأكتشف مرة أخرى أنه مجرد

نصاب ...

إحدى قريباتنا أخبرت أمي عن شيخ جليل معروف جدا في مجال

الرقية وفك السحر؛ وأكدت لها أنه بعيد جدا عن الدجل

والشعوذة وأنه مصدر ثقة ونجح في علاج العديد من الحالات

التي تعرفها هي شخصيا لنتجه إليه مرة أخرى ...

لم تكذب المرأة فبمجرد أن رأيته شعرت بالاطمئنان كان رجلا

تجاوز العقد الخامس على ما أعتقد لحيته التي تتخللها شعيرات

بيضاء مهذبة، وملابسه أنيقة جلباب أبيض مقلم بالرمادي

وطربوش رمادي ملائم وابتسامة ودودة مرسومة على شفتيه ..

بدأت الحصة بقراءة القرآن الكريم خاصة السور التي تتحدث

عن الجن والسحر؛ وبعد أن انتهى من القراءة أكد لي أني مسحورة

وأني أحتاج لجلسات أخرى للعلاج وأخبرني أنه سيعود ليبلغني

المطلوب في الجلسة المقبلة؛ واكتفى بإعطائي يومها بعض

الأعشاب حتى أستفرغ ما في بطني من سموم وضعت لي لأشربها

دون علم مني ..

في المرة التالية أخبرني أن الجني الذي سيخلصني من السحر طلب

ذبيحة وهي عبارة عن جدي أسود؛ ما إن سمعت ذلك حتى

انتابني الخوف فأنا أعلم أن الذبح لغير الله شرك وأخبرته بذلك

لكن لا أعرف كيف استطاع إقناعي بأن ما سنفعله لا علاقة له بالشرك وأنه جائز .. كان لديه أسلوب في الإقناع خطير جدا يدفعك لفعل كل ما يريد دون عناء .. وحتى أطمئن طلب مني إعطاءه مبلغا كبيرا من المال مقابل أن يقوم هو بعملية الذبح نيابة عني ..

مع توالي الجلسات زادت طلبات الجني – كما كان يدعي – والتي أصبحت تصل لآلاف الدراهم وكلما سألته عن النتيجة يقول أن الأمر معقد وليس بالسهولة التي أظنها ...

ومع الوقت بدأت أتيقن أنه لا يختلف عن سابقيه وأنه أيضا مجرد نصاب فلا شيء تغير في حياتي بل العكس منذ بدأت رحلتي مع هؤلاء زاد تعبي النفسي وتراجعت صحتي وكلما فكرت فيما

قمت به من أفعال وتصديقي لهؤلاء المشعوذين احتقرت نفسي فكيف لامرأة في مستواي العلمي والاجتماعي أن تصدق مثل هؤلاء ..

وإن كنت أصدق بالفعل أني أعاني من السحر ولا أعرف طريقة صحيحة للعلاج ..

أخشى أن ألا أتخلص منه أبدا وأن أبقى تحت تأثيره وأحرم من تكوين بيت وأسرة فماذا أفعل؟

7

فتح ذراع يه يستقبل نسمات الصباح النقية وهو يراقب شروق الشمس من شرفته؛ خطر بباله أن يتوجه إلى الشاطئ لممارسة بعض الرياضة؛ شعور بالنشاط انتابه منذ حديثه بالأمس مع صغيرته وكأنها أرسلت إليه شحنة طاقة إيجابية ..

ارتدى بذلته الرياضية واتجه إلى الخارج ليقابل "عمر" بابتسامته الأبوية الودودة عند الباب؛

- صباح الخير "با عمر"

- صباح الخير يا ولدي، إلى أين في هذا التوقيت المبكر؟

- أرغب في الجري ما رأيك أن تشاركني ؟

- وهل من هو في مثل سني قادر حتى على المشي يا بني ..

أجابه وقد زادت بسمته اتساعا

طوق حسن كتفه بذراعه ليشد عليه بدفء: أطال الله عمرك ومتعك بالصحة والعافية ، ثم طبع قبلة على رأسه وتركه راكضا نحو الشاطئ ..

تابعه عمر بابتسامته ثم أطلق زفرة طويلة ليخرج بها ما اعتمل في قلبه: بارك الله فيك يا ولدي لا أعرف ماذا سأفعل حين تغادرني وتعود لبيتك؟

ألقى حذاءه الرياضي وتقدم نحو الأمواج لتداعب قدميه في رقة حيناً وبعنف أحيانا أخرى ...

" كانت تقف شاردة على الشاطئ وهي تضم جسدها بذراعيها كأنها تحتمي من شيء مجهول؛ ظل يراقبها للحظات قبل أن يتقدم نحوها ليقف خلفها ويضمها بين ذراعيه فانتفضت في رعب وابتعدت عنه؛ تسمر مذهولا من رد فعلها المبالغ فيه:

- ما بك نور ؟

- لقد أفزعتني كنت شاردة

اقترب حسن منها ليطوق كتفيها بذراعيه:

- ولم كل هذا الشرود حبيبتي إن كان الأمر يتعلق بخالي فالحمد لله حالته في تحسن مستمر.

أطلقت تنهيدة وهي تتملص منه لتتجه نحو الماء تلعب به بقدميها دون أن تتكلم، عاد ليقترب منها من جديد وشعور بالضيق بدأ يسيطر عليه:

- نور منذ زواجنا وأنا أشعر أنك متغيرة؛ لست نور التي أعرفها من يراك على هذه الحالة بعد أسبوع واحد من زفافنا لا شك سيظن أنك مجبرة على هذا الزواج.

رفعت رأسها نحوه بهدوء شديد وابتسامة استهزاء مرسومة على جانبي شفتيها لتقول بكل برود:

- ومن قال غير ذلك...

صدمة؛ ذهول وصمت دام بينهما لدقائق قبل أن يقطعه حسن:

- ما الذي تقولينه ؟ أنت تمزحين أليس كذلك؟

- لا أمزح يا ابن عمتي حاولت مرارا أن ألمح لك أني لا أريد هذا الزواج لكنك لم تفهم أو أنك لم تحاول أن تفهم فلم يكن يهمك سوى تحقيق رغبتك فحسب كما تعودت دائما دون اعتبار لرغبتي أنا ..

- ولماذا لم تقولي ذلك صراحة؟ فما كنت لأجبرك على شيء..

أولته ظهرها حتى لا يرى دموعها التي بدأت في الانهيار بغزارة:

- لأن أبي رفض؛ كان مصرا على أنني لن أتزوج غيرك خشيت إن صارحتك أن يعلم بالأمر فيغضب مني؛ وفي النهاية حدث ما خشيته فعندما رفضت وأصررت على الرفض تعرض لهذه الأزمة ...

- كنت دائما أشعر أنك تغيرتِ وأنك لم تعودي قريبة مني كما كنا سابقا؛ لكني كنت أكذب نفسي وأقول ...

التفتت إليه لتقاطعه وهي تمسح عبراتها بقوة: حسن أنا لم أحبك يوما منذ البداية اعتبرتك في مثابة أخي وصديقي كنت قريبا مني قربا افتقدته في أخي فريد الذي لا يهتم سوى بنفسه؛ وعندما كنت أسمع أبي وأمي وهما يتحدثان عن زواجنا كنت كأي فتاة صغيرة أخجل لكن عندما كبرت ونضجت وفهمت مشاعري عرفت أنك لن تكون لي أكثر من أخ...

- ولم سكتِ كل تلك السنوات ؟ لماذا تعترفين الآن بعد أن تزوجنا فعلا ؟

- أخبرتك أني لم أكن أستطيع إغضاب أبي؛ حاولت أن أتأقلم مع الوضع لكني لا أستطيع أرجوك افهمني ...

- وما المطلوب مني الآن؟

- لا أعرف أقسم أني لا أعلم .. لا أعلم

تركته يقف مكانه وركضت باتجاه الفندق؛

كان الطبيب قد أخبرهم أن سعيد تعرض لارتفاع شديد في الضغط أدى إلى زيادة ضغط الدم في الأوعية الدموية في الدماغ مما أدى إلى انفجارها وسبب له نزيفا في المخ؛ استطاع بأعجوبة النجاة من الموت لكن النزيف أثر على المخ وتسبب له في شلل جزئي...

وما إن خرج من العناية المركزة وتجاوز مرحلة الخطر حتى وجده يطلب منه الإسراع في إتمام الزواج؛ حاول حسن أن يقنعه بتأجيل كل شيء حتى يتم شفاؤه على خير لكنه أصر وأمام خوفهم على تدهور صحته وافقوا على فعل كل ما يريد ..

وقف ينظر إلى البحر وشعور بالعجز يتملكه كان يود أن يصرخ ويبكي لينفس عن كل ذلك الألم الذي يعتصر قلبه لكنه عجز عن ذلك أيضا ..."

ما إن دخل من باب العمارة حتى أسرع إليه عمر وهو يحمل بيديه طبقا به بعض الفطائر:

- حضرت لك بعض الفطائر تصورت أنك ولا شك ستعود من الرياضة ومعدتك تزقزق ...

- هي فعلا تزقزق الآن؛ شكرا لك "با عمر"

وضع الطبق على الطاولة ودخل ليحضر الشاي؛ رغم كل الألم التي تتسبب فيه تلك الذكريات لكنه كان يشعر أنه بدأ بالفعل يتخفف من حملها الثقيل؛ أنهى إفطاره واتجه إلى المكتبة ليعود لقراءة الرسائل من جديد...

الرسالة السابعة:

﴿عندما تنهار القدوة﴾

ما أصعب أن تتحول القدوة إلى عبرة

كنت أعتقد أن الأب هو الأمان هو السند هو الحياة لكني اكتشفت أنه لا يختلف عن أي ذئب كل همه كيف ينهش لحوم الغير حتى لو كان هذا اللحم جزءا منه ..

قررت أن أكتب لك مشكلتي سيدي؛ بعد أن تعبت كثيرا وبعد أن بحثت كثيرا عن الحل المناسب دون جدوى؛ دخلت العديد من المنتديات ومواقع التواصل على الإنترنت وعرضت مشكلتي علني أجد المساعدة ؛ ولكن وإن فشلت في العثور على الحل لكني وجدت من تشاركنني نفس الهم؛ الكثير والكثير من الفتيات التي لديهن نفس المشكلة حتى صرت أحسب أن جميع الرجال تحولوا لوحوش آدمية لذلك وبعد تفكير طويل قررت أن أكتب إليك؛ حتى ترشدني وترشد من هن في نفس وضعيتي إلى التصرف

السليم وسأحكي لك قصتين الأولى تخصني؛ والثانية لصديقة تعرفت عليها في العالم الافتراضي ووكلتني لطرح مشكلتها نيابة عنها ...

مشكلتي يا سيدي هي أبي الذي كان مصدر الحنان والأمان منذ أن فتحت عينيّ في هذه الحياة؛ ولم أتخيل أبدا أن يتحول إلى كابوس يؤرق ليلي ونهاري ؛كان أبي حنونا جدا ومحبا لنا بشكل كبير ..

حياتي كانت تسير بشكل عادي وسط عائلة متحابة نحن ثلاث شقيقات وأمي سيدة طيبة جدا وتملك من الحنان ما يفيض علينا جميعنا هي فعلا منبع للحنان كما يقال؛ منذ صغري كنت المقربة والمفضلة لدى والدي الذي لم يكن يبخل علينا بشيء سواء

كان حبا واهتماما أو متطلبات الحياة اليومية عشت طفولة سعيدة وهادئة لا يشوبها أي شيء لكن وعندما بلغت الرابعة عشر من عمري انقلبت حياتي وحياة أخواتي إلى جحيم؛

كانت البداية بمرض والدتي الذي أدخلها إلى المستشفى لأسابيع خلال تلك الفترة شعرنا بالضياع بدونها وكان الخوف من فقدانها هو المسيطر علينا جميعا؛ كنا كل ليلة وبطلب من أبي نصلي قيام الليل لساعات حتى الفجر وندعو الله أن يشفيها؛ تجاوزنا الأزمة والحمد لله بسلام .. وعادت أمي إلى البيت بعد أن أتم الله شفاءها علمت فيما بعد أنها أصيبت بسرطان في الرحم وقد تم استئصاله كاملا حفاظا على حياتها لتتابع بعد ذلك جلسات العلاج الكيمائي ..

بعد فترة بسيطة بدأت ألاحظ بعض التغيرات التي طرأت على أبي فقد أصبح يتقاعس عن أداء الصلوات في وقتها وهو الذي كان حريصا عليها بل هو من زرع فينا حب الصلاة في وقتها دون تأخير ...

كنت أذكره مرارا بوقت الصلاة عندما أراه منشغلا عنها بمشاهدة التلفاز أو بهاتفه الذي لم يعد يفارقه أبدا؛ ورغم أني استغربت هذه التغيرات لكني لم أتجرأ يوما لأسأله عن السبب فقد كنت ورغم صغر سني أعلم أن الأزمة التي مررنا بها ليست سهلة لكني بالمقابل عرفت أن من يتوكل على الله لن يخيب رجاءه فلقد استجاب الله لدعواتنا وصلواتنا ..

مرت الأيام وحال أبي من سيء لأسوء اكتشفت بالصدفة أنه يدخن السجائر وكانت صدمتي فيه كبيرة جدا؛ كان ذلك عندما بحثت عنه لأطلب منه مالا لشراء بعض المستلزمات أخبرتني والدتي أنه ربما يكون صعد إلى سطح المنزل وعندما صعدت إليه كان يجلس في أحد الأركان يشاهد شيئا ما على الهاتف الذي يمسكه بيد والسيجارة باليد الأخرى؛ ما إن رآني حتى أغلق الهاتف بسرعة ولم يهتم بالتخلص من السيجارة... رغبت في تلك اللحظة أن أسأله عن السبب الذي يدفعه لفعل ذلك لكني خشيت من تلك النظرة القاسية التي رمقني بها والتي لم أرها أبدا في عينيه قبلا..

أخبرت أمي والتي لم تستطع إخفاء صدمتها ولا استيائها وإن حاولت أن تتماسك أمامي وهي تبرر فعلته بتعرضه لمشاكل في العمل...

" منذ متى كان أبي يعالج مشاكله بتلك الطريقة ؟ ألم يكن هو من علمني أن ألجأ إلى الله عند الشدة ؟ فكيف يعصى الله بهذه الطريقة ويطلب منه العون؟ "

أسئلة فرضت نفسها علي لكني لم أجد لها جوابا؛ حتى مع شقيقاتي لم نكن نتحدث في الأمر بيننا وكأننا نخشى إن تحدثنا أن نقر بالتغيير الذي حدث له نحو الأسوء أو بالأحرى نعترف بانهيار مثلنا الأعلى..

لكن صمتنا لم يكن ليقف دون أن تسير الأمور نحو المرحلة الأكثر سوءا والأكثر إيلاما ..

لم أخبرك أنني البنت الوسطى كانت لي غرفة خاصة ولشقيقتيّ غرفة مشتركة؛ بدأت أنتبه عندما أدخل غرفتي لخيالات على الباب وكأن أحدا يتلصص علي من ثقب المفتاح؛ فأسرع لفتحه فلا أجد أحدا الأمر تكرر كثيرا أيضا عندما أدخل إلى الحمام خاصة عندما أدخل لأستحم، كنت أشعر أني مراقبة بل وأرى حركة خيال من أسفل الباب لكني لم أنجح أبدا في كشف الفاعل؛ أخبرت شقيقتي الكبرى التي أكدت لي أن أتوهم ليس إلا فلا يوجد في بيتنا من سيفعل ذلك وإن لاحظت ارتباكها مما جعلني أشك أنها ربما تعرف أو على الأقل لديها شك ..

لم يمض وقت طويل لأكتشفه بنفسي؛ فقد تطور الأمر بسرعة؛

ذات ليلة وبعد أن خلدت للنوم شعرت فجأة بيد تتحسس

جسدي قفزت فزعة وقبل أن أصرخ كانت يد أبي الأسرع لتغلق

فمي وهو يطمئنني؛ لم أفهم ما كان يقوله وهو يبرر وجوده في

غرفتي في تلك الساعة المتأخرة من الليل بشجاره مع والدتي وتركه

الغرفة لها وأنه كان يحكم الغطاء على جسدي عندما شعرت

بحركته واستيقظت ..

وبالرغم من أني لم أصدق ولا كلمة مما قاله خاصة مع تلعثمه..

في الكلام لكنني لم أمتلك سوى التظاهر بغير ذلك؛ نام تلك الليلة

إلى جواري فوق سريري ولم يزر النوم جفني وأنا منكمشة على

نفسي أترقب الأسوء؛ لكنه لم يقترب مني أبدا مما جعلني أشعر بالارتياح وألوم نفسي أني فكرت به بهذا الشكل ..

تكررت الحادثة بعدها بيومين فقط؛ استيقظت فزعة بعد أن شعرت بأنفاسه الساخنة تلفح رقبتي وبذراعيه تطوقان خصري؛ كانت حجته هذه المرة أنه انزعج من شخير أمي العالي ولم يرغب في إيقاظها كما أنه اشتاق لنومي بين ذراعيه كما كنت أفعل مرارا في صغري ..

هذه المرة لم أستطع أن أتخلص من شكي في السبب الحقيقي الذي يدفعه للمجيء متسللا إلى غرفتي في ساعة متأخرة من الليل وينسحب قبل الفجر ليعود إلى غرفته؛ لكني كنت أحاول أن

أطرد هذه الأفكار من رأسي فلا يمكن أبدا أن أصدق ببساطة أن أبي يتحرش بي ...

لكن زيارته الليلية صارت متكررة لم يعد يحتاج إلى تبرير وكأن علي تقبله دون سؤال؛ أحيانا كثيرة كنت أتظاهر بالنوم فأشعر بيديه تتحسسان جسدي -وعفوا- حتى المناطق الحساسة منه فتنتابني الرعشة والغثيان لكني لم أكن أجرؤ على الحركة أو إبداء اعتراضي على أفعاله لأني ببساطة أعلم أنه سينكرها ولن يصدقني أحد وكنت أعرف أنه لن يتمادى أكثر بوجود أمي وشقيقاتي بالمنزل؛ وأنتظر تسلله ليعود أدراجه فأنخرط في موجة بكاء متواصل حتى الصباح؛ صرت أتحاشى التواجد معه في مكان واحد أو البقاء معه بمفردنا في المنزل ولم أعد أستطيع حتى النظر في

وجهه الذي تغير وصار بشعا؛ بينما كان ولا زال يتعامل معي بشكل طبيعي وكأنه لا يفعل شيئا ..

لم أستطع إخبار والدتي بالأمر خشية عليها ولأني متأكدة أنها لا يمكن أن تصدقني ولم يكن أمامي سوى شقيقتي الكبرى التي حكيت لها تفاصيل ما يحدث معي لكنها رفضت تصديقي وأنبتني بشدة لأني فكرت أن أبي بإمكانه أن يتصرف بحيوانية معي أو حتى مع غيري؛ لكني كنت واثقة من أنها كذبتني لأنها ترغب في ذلك وبداخلها تصدق كل كلمة قلتها وتأكدت من ذلك حينما وجدتها تحضر لي مفتاح غرفتي- الذي لم أحتجه يوما - وتطلب مني أن أغلقها علي عندما أذهب للنوم..

استطعت أخيرا التخلص من تحرشاته الليلية ولم يسألني عن سبب إغلاقي لباب غرفتي رغم أني سمعته لأكثر من مرة يحاول فتحه ثم يعود بعد أن يفشل في ذلك..

كنت لأنسى الأمر ولا أتحدث عنه مرة أخرى ولكني فوجئت به وهو يجلس أختي الصغرى التي لم تتجاوز بعد عامها التاسع على قدميه يداعبها بحركات مريبة؛ أختي مازالت صغيرة وقد لا تفهم ما يفعله بها؛ وأخشى من رد فعلها إن فهمت ولا أستطيع إبلاغ أحد بالأمر فقط أقوم بمراقبتها قدر استطاعتي...

لن أستطيع حمايتها مهما حاولت وأخشى عليها كثيرا لأنها لا تزال صغيرة ولن يصدقنا أحد مهما قلنا فالجاني هو أقرب شخص لنا من نطمع في أن يكون مصدر الحماية لا الاعتداء ..

أما القصة الثانية التي سأرويها لك فلن تختلف كثيرا عن قصتي فالجريمة واحدة وإن اختلف الجاني..

صديقتي تلك تكبرني بعام واحد أي أنها في الخامسة عشر من عمرها؛ توفي والدها قبل سنة واحدة ليتركها مع والدتها وشقيقها الأصغر الذي يبلغ من العمر ست سنوات..

هم عائلة ميسورة جدا وقد ترك لها والدها الكثير من الأملاك والأموال؛ كانت مدللة جدا من والديها وكل طلباتها مجابة؛

بعد وفاة والدها تولى خالها رعاية أسرتها باعتباره الأخ الأكبر لأمها؛ وأيضا كونه كان الذراع الأيمن لأبيها قبل وفاته..

أصبحت زيارته لهم في المنزل بشكل يومي تقريبا ليقضي لهم كل احتياجاتهم، زادت علاقتها به توطيدا واعتبرته تعويضا لها عن

والدها المتوفي خاصة أنه كان يغدق عليها من حبه وحنانه الكثير؛ هو متزوج من امرأة غاية في الجمال ولديه منها ولدان أكبرهما يبلغ العشرين من عمره والثاني يكبرها بعام واحد؛ توطدت العلاقة بين العائلتين بشكل كبير وأصبحت الزيارات لا تنقطع أبدا؛ ونجح خالها وعائلته في إخراجهم من حزنهم وعزلتهم ..

كما توطدت علاقتها بابن خالها الأكبر الذي كان يرافقها في مشاويرها كل ما احتاجت قضاء غرض ما أو الذهاب إلى أي مكان؛ بدأ يلمح لها عن إعجابه بها وهي كأي فتاة سعدت بمشاعره تلك وخفق قلبها له؛ استمرت علاقتهما فترة قصيرة قبل أن يكتشف خالها الأمر حين وجدهما معا في حديقة منزلها في مكان منعزل يتهامسان ويتبادلان معسول الكلام ..

أنبها خالها على فعلتها ووعد أنه سيعاقب ابنه على ذلك وأخبرها أنه ابتداء من الآن هو من سيصحبها أينما ذهبت؛ ورغم ضيقها مما حصل إلا أنها لم تستطع أن تعترض على قراراته فقد كانت تعتبره في مكانة والدها رحمه الله وكانت تثق في خوفه عليها وحرصه على مصلحتها ..

في اليوم التالي جاء في موعد ذهابها للنادي الرياضي لاصطحابها بنفسه؛ طوال الطريق لم يتوقف عن لومها لأنها انصاعت وراء كلام ولده وأخبرها أنه حذره من محاولة الاتصال بها مجددا؛ قبل أن تجده يتغزل بها وبمحاسنها وأنها تستحق رجلا ناضجا أفضل من ابنه المراهق ..

لم تصدق ما سمعته منه واعتقدت أنه ربما فقط لم يُجِد التعبير عما يريد قوله ليثنيها عن حب ولده..

منذ ذلك اليوم أصبحت تلاحظ نظراته الجريئة نحوها وتلميحاته لها وهي تحاول أن تكذب ما تراه وتسمعه منه؛ بدأ يرسل لها رسائل على هاتفها تحمل قصائد غزل وكلمات خادشة لتتطور مع الوقت لاعتراف صريح بأنه يحبها ..

رفضت التجاوب معه ولم تكن ترد على رسائله؛ وحين يتصل بها كانت لا تجيب على اتصالاته حتى فوجئت به يدخل عليها الغرفة بدون استئذان قفزت من سريرها مذهولة لتسأله عن سبب تواجده؛ وحاولت دفعه للخروج من الغرفة لكنها فوجئت به يغلقها بالمفتاح؛ شعرت بالرعب ولم تتمكن من التفكير في كيفية

التصرف وهي تتراجع إلى الخلف لتبتعد عنه بينما أصر هو على الاقتراب حتى اصطدمت بالحائط فأحاطها بذراعيه ليمنعها من الحركة؛ وليعبر لها عن حبه بطريقة عملية ..

كانت فقط هذه هي المرة الأولى تلتها مرات عدة استباح فيها جسدها بدعوى أنه يحبها؛ حاولت أن تقنعه بأن هذا غير جائز فهو خالها وفي مثابة والدها لكن لا حياة لمن تنادي؛ كان يقول لها أنه يعيش حياة زوجية تعيسة فزوجته لا تفهمه وهي باردة معه ولا تلبي رغباته...

في البداية خشيت من رد فعل والدتها إن أخبرتها بالأمر لعلمها مدى تعلقها به وحبها له وهو الوحيد الذي يقف إلى جانبها؛ لكنها لم تستطع الصبر وهي تخشى أن يتمادى معها حتى تجد

نفسها قد خسرت كل شيء أو كما يقال أعز ما تملك إلى الأبد

خاصة وأنه يستغل ثقة شقيقته ليدخل ويخرج إلى غرفتها دون

مراقبة ..

استجمعت شجاعتها لتخبر أمها بما يفعله خالها معها لكنها

صدمت بتكذيبها لها وتعنيفها وتهديدها إن هي تحدثت لأي

كان بهذا الأمر .. وأن خالها أكبر وأشرف من أن يتحرش بأي فتاة

خاصة وإن كانت ابنة أخته..

كانت على يقين أن والدتها تعلم حتما صدقها لكنها لا تريد أن

تعترف بذلك خوفا على مصالحها فهو من يدير كل أملاكها وهو

الوحيد الذي يعرف كل أسرار ثروتها وهي غير قادرة على ترك

حياتها المرفهة لتتابع ما تركه لها زوجها الراحل؛ كما كانت تخشى أن يسلبها شقيقها كل شيء وألا تستطيع استعادته..

فكرت بأن تشتكي لابنه لكنني حذرتها من عواقب هذا الفعل؛ فلا ندري إن كان ابنه أكثر وضاعة ويستغل الأمر لصالحه ...

حتى هذه اللحظات التي أكتب لك فيها رسالتي هذه مازالت أختي تحت تهديد أبي الذي لم يعد يفارقها ويصر على مشاركتها اللعب ويحكي لها الحكايات ..

ولازالت صديقتي تتعرض للاستباحة من خالها تحت مسمع ومرأى من والدتها التي تتظاهر بعدم الفهم ..

وما زلنا لا نعلم كيف يمكننا أن نتصرف فمن يستبيحون أعراضنا هم الذين من المفترض منهم حمايته والدفاع عنه؛ وإن حاولنا

فضحهم فأحدا لن يصدقنا وكيف يصدقوننا ونحن أنفسنا ما كنا

لنصدق لولا ما عشناه وما نعيشه حتى اليوم ..

8

شعور بالانقباض يصر أن يسيطر عليه منذ أن قرأ آخر رسالة؛ هل يوجد بالفعل مثل هؤلاء الأشخاص هل يعقل أن يعتدي أب على ابنته أو أخ على أخته؟ قفزت صورة صغيرته أمام عينيه وهي تتعرض لتلك التحرشات وبسرعة نفض تلك الأفكار من رأسه؛ وقام ليبحث عن هاتفه ليتصل بها؛ كان يريد أن يطمئن عليها وزادت رغبته في ضمها إليه لتعيش في كنفه وتحت حمايته...

انتظر أن يسمع صوتها وهو ينصت لرنين الهاتف على الجانب الآخر لكن على عكس توقعه تماما جاءه صوت نورا الهادئ:

- مساء الخير

- أريد التحدث إلى ياسمين

- ألن تعيد التحية على الأقل

زفر في ضيق وهو يحاول أن يسيطر على انفعاله: نور ماذا تريدين؟

- لمَ تتحدث معي بهذه الطريقة؟كنت فقط أريد أن أخبرك أن ابنتك تسأل عنك كثيرا وتود رؤيتك فمتى ستأتي ؟

لا يعرف لم انتباه شعور بالضيق ربما كان ينتظر أن يسمع صوتها منذ أن ترك كل شيء وراءه وانعزل عن العالم؛ هي الوحيدة التي أرادها أن تسأل عنه لكن ما إن اخترقت كلماتها أذنيه حتى شعر بنفور غريب ..

طال صمته وهو يفكر في تلك المشاعر التي اجتاحته

- حسن ... هل تسمعني ؟

- أجل أسمعك ولو سمحت أن تعطي الهاتف لياسمين

سمع صوت زفراتها الغاضبة وهي تنادي على الصغيرة بصوت مرتفع عادت البسمة لتطل على وجهه ما إن سمع صوت الصغيرة المرح ليندمج معها في حوار طويل ..

" بقي جالسا أمام البحر لساعات طويلة حتى أرخى الليل أستاره، عقله متوقف تماما عن التفكير؛ كيف اعتقد أنها تبادله الحب طوال تلك السنوات؟ هل أعماه حبها حقا هل كانت رغبته هي من جعلته يرى الأمور عكس ما هي عليه؟ كان يعيد كل المواقف التي جمعتهما معا وأبدى لها عن مشاعره وعن رغبته في أن تكون شريكة حياته؛ لم تبد اعتراضا ولم يلحظ مرة استياءها ..

حتى السنة الأخيرة التي سبقت زواجهما حينها فقط بدأ يشعر

بابتعادها فهل دخل شخص ما حياتها؟؟

رنين هاتفه المتواصل لم ينجح في إخراجه من عزلته التي شعر أنه

بحاجة إليها؛ فكر في ترك كل شيء وراءه والذهاب إلى أي مكان

حتى تهدأ روحه ويتمكن من التفكير السليم ..

أخرج الهاتف الذي لم يتوقف ليرى اسمها يتراقص على الشاشة

أمامه؛

عاد سريعا إلى الفندق ما إن أخبرته عن قلقها لغيابه كل تلك

الساعات؛ أمل ولد في قلبه إذ ربما تغير ما رمته به من قبل ..لكن

لا شيء تغير

مرض خاله وخوفه عليه كبله فهو لا يعرف كيف سيكون رد فعله

إن هو تركها بعد أسبوع واحد من الزواج..

لم يجد خيارا سوى الانتظار حتى تتحسن حالة خاله الصحية ثم

بعدها يفكر في حل مناسب؛

بعد شهر وبضعة أيام ازدادت حالته الصحية سوءا ليدخل في

غيبوبة طويلة لأيام قبل أن يفارق الحياة ..

شعور بالذنب كان يلازم نور ا طوال الوقت بأنها السبب فيما

حدث له؛ حاول حسن أن يقف إلى جوارها إن لم تكن كزوجة

فيكفي أنها ابنة خاله الذي كان بمثابة أب له ..

لم يكن قد اتخذ قرارا بعد في استمرار زواجهما أو نهايته حين علما بأنهما سيرزقان بطفلهما الأول .. ليكون عليهما إعادة حساباتهما من جديد ...

حياته التي عاشها بعيدا عن أبويه وإحساس النقص الذي كان دوما يشعر به رغم كل ما قدمته له عائلة سعيد من احتواء ودعم جعله يخشى على هذا الصغير الذي يتكون في رحم نور من أن يعيش نفس الألم بين والدين منفصلين ..

رغبته تزايدت بالبدء من جديد حياة مختلفة قرر التقرب منها مرة أخرى وشجعه هذه المرة تقبلها للأمر لتعلن له فيما بعد عن رغبتها باستمرار زواجهما..."

الرسالة الثامنة :

﴿أحلام اليقظة﴾

الحلم جزء من ذاتي؛
فيه أرسم صور أمنياتي
بعض أحلامي ضرب من خيال؛
أعلم أن تحقيقها أقرب للمحال
لكن مع ذلك أطلقها
لكي تحلق بحرية في سمائي.
جمال الحلم يكون أحيانا في بعده عن الواقع؛
اعتدت أن أعيش مع أحلامي ..
في عالمي الخاص
داخل بلورة من زجاج؛
في الحلم أملك زمام الأمور
أحرك كل الأشياء كيف أشاء،
لكن أحلامي دوما قصيرة المدى
ما إن ترفرف
حتى تسقط على أرض واقع صلب
ومع ذلك أعود لأطلق أحلاما جديدة.

بقلمي : نزهة النميلي

في الحقيقة أنا أدرك تماما أبعاد مشكلتي ولكني للأسف عاجز عن حلها رغم كل ما بذلته من جهد في سبيل ذلك؛ لم أجرؤ يوما على الاعتراف لأحدهم بما أمر به لأني على يقين أني سأكون محط سخرية فما أمر به ربما يكون عاديا لو تعلق الأمر بفتاة ...

لكن حين يتعلق الأمر بشاب فالأمر يكون محرجا بعض الشيء ...

أنا مدمن ..

وإدماني ليس مخدرات أو منبهات أو ما شابه ذلك من إدمان ينبذه المجتمع بل على العكس فأنا والحمد لله لا أقربها بتاتا..

لكن إدماني مختلف فهو يبدو لك لذيذ جدا وغير مؤدي لا يؤثر عليك في شيء لكنه في الحقيقة سارق خفي ومحترف يسلب منك

وقتك وطاقتك ليمر اليوم تلو الآخر وأنت لاتزال تقف في مكانك...

مشكلتي تبدأ بعدم ثقتي بنفسي التي رافقتني منذ الصغر؛ فقد كنت أتلقى التوبيخ والانتقاد الدائم من أبي لأي عمل أقوم به، لم يكن يعجبه شيء مهما حاولت أن أبذل مجهودا مضاعفا يفوق طاقتي في الكثير من الأحيان دون جدوى ..

والنتيجة شخصية مهزوزة غير واثق من نفسي دائما أتوقع أني أسأت التصرف وأن اختياراتي غير سليمة .. ومن هنا بدأت أهرب من هذه الشخصية إلى شخصية أقوى قادرة على اتخاذ القرارات الحاسمة حتى في الأوقات حرجة ..

طبعا هذه الشخصية لم تكن موجودة سوى في خيالي؛ صرت أقضي وقتا طويلا منعزلا في غرفتي لا أفعل شيئا فقط أحلم ...

أحلم بمواقف تضعني فيها الحياة أكون فيها الفارس أو البطل الذي ينقذ الموقف بحكمته وسرعة بديهته ..

مواقف أكون فيها المسيطر القادر على التأثير فيمن حولي ..

فها أنا ذا مهندس ناجح استطعت أن أنقذ الشركة التي أعمل بها من خسارة مهولة بحنكتي وحسن تصرفي ..

ومرة أخرى طبيب جراح حتى أني أتخيل نفسي داخل غرفة العمليات وأنا أنقذ تلك الفاتنة التي أصيبت في حادثة فظيعة ولا بأس إن وقعت تلك الفاتنة في حبي بعد أن تستعيد صحتها وربما

نتزوج ونعيش في قصري الكبير الذي اشتريته قريبا وننجب أطفالا في ذكائي وجمال أمهم ..

وصل بي الحال للمشاهدة عمليات جراحية مباشرة على الإنترنت حتى يكون حلمي مكتمل الأركان .. وأقرب للواقع منه للخيال ...

تعددت وظائفي في غرفتي التي لا أبرحها في الوقت الذي ما زلت فيه في المرحلة الثانوية ..

أتخيل أحيانا بل كثيرا جدا أن أبي وقع في مشكلة عويصة وأنني الوحيد الذي أستطيع إنقاذه؛ فمرة أصدر شيكات بدون رصيد وزج به في السجن فآتي أنا لأدفع عنه المبالغ الكبيرة التي استدانها..

ومرة أخرى تعرضت شركته للسرقة من بعض الموظفين الخائنين وأصبحت على حافة الانهيار فأتدخل أنا لإنقاذ الموقف واكتشاف الخونة ومعاقبتهم ..

وأخرى.. وأخرى والنتيجة دائما تكون واحدة أن أبي اعترف بذكائي وبتميزي ..

ألوم نفسي كثيرا عندما أفكر بأبي بهذه الطريقة وأضعه في مواقف مذلة ومهينة لكني لا أستطيع التوقف مع الأسف ..

كنت أستمتع كثيرا بأحلامي وأقضي الساعات الطويلة بمفردي في الغرفة وأنا أنسج قصص نجاحي في أوقات كثيرة، وقصصاً رومانسية حالمة في أوقات أخرى ..

أحلام يقظتي هي متعتي التي أدمنتها وصرت أنفصل بها عن العالم وأعيش مع شخصيات أخرى أتعرف عليها وأشاركها تفاصيل حياتي الافتراضية شخصيات أكثر روعة وأكثر تفهما؛ قد يكون فيها أيضا من هو سلبي أو شرير لكنها فقط تظهر في قصصي لأثبت بها جدارتي وتفوقي ..

عشت لسنوات خمس مع أحلامي الممتعة ولم أهتم بالأمر طالما أنا مستمتع بها ولا أؤدي أحدا؛ لكني اكتشفت أنها أصبحت تؤثر بشكل سلبي على سير حياتي؛ فأنا أسرع في إنهاء واجباتي المدرسية والمذاكرة كيفما اتُفق حتى تراجع مستواي الدراسي وذلك فقط لأتفرغ لأحلامي ..

أصبحت أكثر انطوائية وعزلة ولا أهتم بالمناسبات الاجتماعية ولا بالجلوس مع أفراد أسرتي مهما حاولوا دفعي لذلك ... والسبب هو رغبتي للتفرغ لأحلامي ..

قد أجلس لساعات طويلة وغالبا حتى بعد منتصف الليل وبشكل يومي مستغرقا في تفاصيل حلم نسجه خيالي وعاش تفاصيله بكل دقة ..

في النهاية اكتشفت أنني صرت مدمنا على أحلام اليقظة؛ حاولت علاج نفسي بنفسي فليست لدي القدرة والشجاعة لأخبر أي كان بمشكلتي ولا التوجه إلى طبيب نفسي خوفا من أن يفتضح أمري فأصبح سخرية للجميع؛ حاولت ألا أدخل غرفتي إلا وقت النوم ..وأمنع نفسي بالقوة وأنا أجلس مع إخوتي أشاهد التلفاز أو

ألعب إحدى الألعاب الإلكترونية لكني للأسف ما إن ألجأ للفراش حتى يبدأ عقلي في نسج القصص فأجدني أسهر لساعات طويلة ...

فكرت أيضا بممارسة الرياضة لكنني للأسف لم أنتظم خصوصا وأن خيالي يسرح في نفس توقيت أدائي لتماريني الرياضية ..

كما ترى فأنا أعرف المشكلة جيدا وأعرف أيضا بعض الطرق للتخلص منها لكني لا أملك ربما العزيمة والإصرار الكافيين لذلك أو ربما اخترت الطرق الغير مناسبة لشخصيتي ..

أريد أن أعود شابا طبيعيا اجتماعيا ناجحا في دراستي فأنا على أعتاب مرحلة فاصلة في الدراسة وأخشى على نفسي من حياتي الافتراضية أن تعيقني وتكون السبب في تدمير مستقبلي ..

أرجو منك أن تدلني على الطريقة الصحيحة التي أتخلص بها من إدماني ..

9

يرتدي الإنسان نظارات جديدة فوق عينيه يعيد رؤية كل شيء

من خلالها بوجهة نظر مختلفة عما سبق؛ هذه النظارات اسمها

المحنة

باولو كويلو

أحيانا كثيرة نحتاج لجرعة ألم زائدة؛ ألم يدفعنا للاستفاقة من نشوة أحلامنا وأوهامنا فنعلم أن ضعفنا واستسلامنا أمام من نحب لا يمكن أن نجني منه سوى الخسارة وندرك في لحظة أن علينا التوقف وإعادة حساباتنا حتى لا نخسر ذواتنا ..

لم يكن يعلم أن قبولها لاستمرار حياتهما معا كان دافعه الأول هو يأسها من إعادة بناء حياتها كما كانت تحلم؛ فهي الآن تحمل طفلا لا ذنب له وإن طلقت من والده فمن ذا الذي سيحب امرأة مطلقة ولديها طفل أيضا؛ لذلك كان قرارها الاستمرار لكن شريطة أن تحصل على ثمن حياتها تلك، وهو ما كان ليدرك ذلك وهي تطلب دون توقف؛خزانتها ممتلئة عن آخرها بملابس لأشهر

العلامات التجارية؛ سيارة أحدث طراز تغيرها كل سنة مجوهرات وهدايا ثمينة في كل المناسبات وبدون مناسبة..

وهو كان يعطي ويعطي بدافع الحب ولم يفكر في شيء آخر سوى الحفاظ على بيته وحبيبته ..كان يتغاضى عن الكثير فقط كانت تكفيه نظرة صغيرته الجميلة وهي تتعلق بعنقه كل ليلة لينسى همومه.

وفي الشركة أظهر فريد وجهه الآخر بعد وفاة والده وبدأ باختلاسات بسيطة ظن أن أحدا لن يكتشفها ولم يكن يعلم أن حسن لا يفوته شيء أبدا ويراجع حساباته بنفسه لكنه تجاوز عنه في المرة الأولى ولم يخبر أحدا عن الأمر ليعيد الكرة مرة ثانية وثالثة ..

وعندما أخبر نور ثارت وهاجت واتهمته بكره أخيها وأنه يسعى لإخراجه من الشركة والتخلص منه؛ وفاتها أن فريد هو من يكره زوجها منذ دخوله إلى منزلهم وهو طفل صغير؛ اشتعلت نفسه بالغيرة اتجاه هذا الصغير الذي حاز على اهتمام والديه ورعايتهما له؛ وزادت غيرته حينما علم عن الثروة التي تركها له والده والتي تولى سعيد إدارتها بصفته وصيا عليه؛ وتغيرت أحوالهم المادية نحو الأفضل بفضل تلك الوصاية رغم أن سعيد كان أمينا جدا على أموال الصغير .

اعتقد فريد أن حسن حصل على الاهتمام بسبب غناه ولم يكن يدرك أن سعيد كان يشفق على الصغير الذي فقد والديه معا أمام

عينيه وهو لا يزال في أشد الحاجة إليهما، كما كان يرى فيه

تعويضا من القدر عن شقيقته الراحلة والتي لم يكن يملك غيرها..

ولم يعلم فريد ولا حتى نور أن حسن كان يتمنى أن يخسر كل

ثروته مقابل أن يستعيد والديه ليعيش في كنفهما ..

وجاءت القشة التي قصمت ظهر البعير ففريد هذه المرة لعب

في ميزانية الشركة بشكل واضح جدا واختلس مبالغ مالية

بعشرات الملايين لتصبح الشركة على حافة الانهيار؛ لتأتي لحظة

المواجهة التي كان حسن يؤجلها مرارا احتراما لذكرى خاله

واحتراما لزوجته فاطمة التي طالما رأى في عينيها نظرات اعتذار

وانكسار وهو يعلم أن نور تخبرها باتهامه لفريد :

- هكذا إذا تتهمني أنني سرقتك ؟ أهذا جزائي وجزاء أبي الذي أفنى حياته في خدمتك ؟

- فريد أنت تعلم أني أحفظ جميل خالي جيدا وأنا ممتن له ما حييت ولكن هذا لا يعطيك الحق لاختلاس أموال الشركة ..

- أنا لا أسمح لك بذلك؛ لست سارقا ولم أمد يدي على درهم واحد من شركتك التي تتبجح بها أمامي ..

- الحسابات أمامي واضحة والاختلاسات كبيرة جدا لا يمكنني التغاضي عنها كما فعلت مرارا

وقف فريدا وهو يشير بكفيه في وجه حسن الذي حاول الحفاظ ما أمكن على هدوئه:

- إخرس لن أسمح لك باتهامي بهذه الطريقة أعلم أنك تريد التخلص مني وطردي من شركتك التي سأتركها لك لتشبع بها؛ واستقالتي ستكون على مكتبك بعد دقائق ...

غادر المكتب صافقا الباب خلفه بقوة قبل أن يصطدم بعادل الذي كان في طريقه إلى حسن؛ نظر إليه فريد باستعلاء وابتسامة ساخرة مرسومة بدقة على جانبي شفتيه:

- أخيرا وصلت إلى هدفك

- ما الذي تقصده ؟

- أعلم أنك تكرهني وأنك ترغب في إخراجي من الشركة بأي ثمن وأنا واثق أنها خطتك المدبرة ..

ثم اقترب منه بهدوء وأمسكه من ياقة قميصه ليضيف:

- سأترك لكم الجمل بما حمل

ثم تركه وغادر ..

دخل عادل إلى حسن وعلامات الذهول لا تزال مرسومة على وجهه:

- ما الذي يقوله ذلك الغبي ؟

- أنكر كل شيء كما توقعت وسيقدم استقالته

- وبالطبع ستتركه يرحل دون محاسبة ... حسن عليك أن تتخذ الإجراءات القانونية اللازمة يجب أن يعيد المال الذي سرقه

وقف حسن ليتجه إلى النافذة ويقف أمامها وهو يزفر بشدة؛

تقدم نحوه عادل ليضع كفه على كتفه:

- أعلم ما تفكر به؛ ولكن هذه المرة الأمر مختلف المبلغ ضخم جدا ونحن لدينا التزامات بمواعيد محددة

- أعلم، صدقني أفكر في الأمر ولكني أتخيل وجه خالتي فاطمة أو خالي إن كان لا زال حيا فأشعر بالعجز التام ..

وقبل أن يتابع نقاشه مع عادل سمع صوت رنين هاتفه؛ فوجئ بصوت نور الغاضب وهي ترميه بأبشع الصفات كونه اتهم شقيقها بالسرقة .. أنصت إليها دون رد إلى أن أغلقت الخط في وجهه بعد أن صبت عليه جام غضبها ..

ترك المكتب واتجه إلى البيت وشعور بالضيق يتملكه من الاتهامات التي وجهتها إليه؛ دخل ليجدها تجهز حقائبها وقف بباب الغرفة مستغربا :

- ما الذي تفعلينه ؟

- كما ترى لا يمكنني البقاء معك تحت سقف واحد وأنت تسعى لتدمير أخي الوحيد بكل الطرق

- أخوك هو من يفعل ذلك ألا تفهمين لقد سرق أموالي ووضعني في موقف حرج

- أموالك .. أموالك... أعلم أن لديك أموالا كثيرة وأننا تربينا منها .. أعلم ذلك تماما لكنك تنسى أنك تربيت في بيتنا وحصلت على الكثير في المقابل ...

- ما هذا الهراء الذي تتفوهين به؛ أنا لم أَمُنَّ يوما عليكم بشيء لأن خالي ببساطة لم يكن يأخذ غير حقه فقط؛ أنا عشت في

بيتكم وتمتعت بحنان أبيك وأمك ولا يمكنني أن أنكر أفضالهما عليّ أبدا

- لهذا تتهم ابنهم بالسرقة وتريد أن تزج به في السجن

- أريده أن يعيد ما أخذه فحسب ويغادر ولن أتخذ ضده أي إجراءات

- أخي ليس لصا ابحث عن اللص الحقيقي الذي سرقك وهو بالمناسبة يقف بالقرب منك ويستغلك كيف يشاء

- لدي كل الأدلة التي تثبت أن من أخذ المال هو فريد؛ ولدي كل الأدلة على اختلاساته السابقة التي تغاضيت عنها برغبتي احتراما لصلة الدم بيننا ولكن الآن ..

- الآن أنا سأغادر بيتك ولن أعود إليه مرة أخرى؛ تحملتك وتحملت حياتي المقرفة معك لتأتي في النهاية وتريد تدمير أخي الوحيد؛ لن أسمح لك بذلك سأقف إلى جواره وأجعلك تدفع ثمن اتهاماتك هذه

وقف ينظر إليها في ذهول وكأنه يرى امرأة أخرى غير نور التي أحبها طوال عمره وسعى لإرضائها بكل ما امتلك من جهد وطاقة؛ نور التي لم يبخل عليها بشيء أبدا لأنها حبيبته وأم ابنته الحبيبة..

اقترب منها حتى وقف أمامها مباشرة وتابع وهو يشير إلى نفسه:

- حياتك معي مقرفة يا نور ؟؟

زاد اقترابها منه ورفعت رأسها نحوه وعلامات الاشمئزاز قد غزت كل ملامحها :

- أجل مقرفة؛ ومع ذلك تحملتك

- وما الذي أجبرك على ذلك ؟

انحنت لتلتقط حقيبتها لتجرها وتركته دون كلمة لتتجه إلى غرفة الصغيرة لتغادر البيت ...."

- هل كان عليّ أن أعتزل العالم حتى أرى الصورة بوضوح كما تظهر أمامي الآن؟

ابتسم عمر وهو يربت على ساقه بحنان:

- أنت شخص طيب وحافظ للجميل في زمن ندر فيه أمثالك ولا تستحق زوجة كتلك؛

- كان واضحا جدا استغلالها لي ومع ذلك ..

- ومع ذلك قبلت لأنك تفكر في غيرك قبل التفكير في نفسك؛

لم يكن حبك لها وحده هو الدافع الذي جعلك تستسلم

لاستغلالها؛ لو كان كذلك لما رأيته استغلالا؛ لكن كنت تجعل

ذاك الحب ذريعة فقط لتبرر موافقتك واستمرارك معها...

لكن الحقيقة أنك كنت تفكر في الجميل الذي صنعه معك

خالك وزوجته وكنت تخشى أن تكون جاحدا؛ كما كنت

ترغب في العيش وسط أسرة مترابطة، ما جعلك اليوم ترى

الحقيقة دون مجاملة هو فعلة شقيقها التي أنهت كل شيء

وأسقطت كل الأقنعة..

- كانت علاقة مشوهة منذ البداية اعتقدت أنني بالحفاظ عليها أحافظ على ابنتي ولكني الآن صرت أخشى عليها أكثر من تربية أم بجشع نور وطمعها ..

- ماذا ستفعل ؟

- ما كان يتوجب علي فعله منذ اللحظة الأولى التي عرفت أني لا أعني لها شيئا ..

- ستغادر إذا ؟؟

- لا يمكنني البقاء أكثر من هذا لقد اكتفيت من عزلتي وجاء وقت المواجهة ..

أغلق الحقيبة بعد أن جمع كل متعلقاته؛ اتجه إلى الشرفة ليتكئ على سورها متطلعا إلى الشارع وشعور بالراحة يجتاحه؛ لم يكن

صاحب الشقة كاذبا حين أخبره أن هذا الحي هادئ جدا بعد دقائق أغلق الشرفة جيدا وحمل حقيبته ليتجه إلى الصالة ..

ألقى نظرة ليتأكد من أن كل شيء في مكانه لتقع عينيه على الرسائل التي لا تزال على الطاولة؛

" ترى هل أجاب الزيتوني على هذه الرسائل؟ هل استطاع منح المساعدة لكل هؤلاء؟

ترى لو كنت مكانه ماذا سيكون ردي عليهم؟

لم تدم حيرته طويلا بعد أن سمع صوت جرس الباب فاتجه إليه ليجد صاحب الشقة وبصحبته رجل آخر تدل ملامحه على أنه تجاوز الستين خمن حسن أنه مستأجر جديد،

- مساء الخير أستاذ حسن أرجو ألا أكون قد تأخرت على موعدي معك

- مساء الخير؛ لا أبدا تفضلا بالدخول

- دعني أعرفك أولا على الأستاذ عبد السلام الزيتوني لقد اتصل بي قبل يومين فقط ليسأل عن الشقة

مد له حسن يده ليصافحه وهو يحاول إخفاء علامات الدهشة:

- مرحبا تشرفت بلقائك

- وأنا أيضا تسعدني معرفتك

- تخيل أستاذ حسن أن الأستاذ عبد السلام أصيب بأزمة صحية خطيرة وكان طوال هذه السنوات يخضع للعلاج

خارج البلاد ولم يرغب أن يعرف أحد عن الأمر شيئا؛ وفضل الاختفاء عن الجميع.

- حمدا لله على سلامتك

- سلمك الله

لا يعرف حسن لم انتابه شعور أن الأمر أكبر من أزمة صحية لكنه تفهم كون الصحفي لم يرغب في إفشاء أسراره لأحد، تابع حديثه مع صاحب البيت:

- البيت كما ترى على حاله كما وجدته بإمكانك التأكد بنفسك.

- ما الذي تقوله أنا واثق أنك حافظت عليه؛ عموما الأستاذ عبد السلام يرغب بالعودة للإقامة هنا.

كان الزيتوني قد تركهما يتحدثان وأخذ يتجول في أركان الشقة وكأنه يستعيد ذكريات مضت؛ انتبه له حسن حين وجده يقف أمام الطاولة ويحمل الرسائل يقلبها بين يديه فتقدم نحوه:

- أعتذر منك فلقد أعطيت نفسي الحق في استغلال مكتبتك وقرأت بعضا من كتبها.

- الكتب طبعت لتقرأ حتما وليس لتزيين مكتباتنا.

تنحنح حسن قليلا قبل أن يضيف: لقد تطفلت أيضا على هذه الرسائل التي وجدتها في المكتبة.

ابتسم عبد السلام بهدوء .. هذه ليست رسائل سرية لقد نشرت ما جاء بها في جريدتي قبل سنوات

- حقا .. معنى هذا أنك قدمت حلولا لكل هذه المشاكل

- بالطبع .. لا أنشر محتوى أي رسالة إلا وقدمت لصاحبها ما أراه الحل المناسب لمشكلته

- لقد تأثرت كثيرا بما جاء فيها وكان لدي فضول شديد لمعرفة الحلول

تركه عبد السلام يقف مكانه ليتجه نحو المكتبة ويخرج إحدى المفكرات الموضوعة على الرف ثم عاد ليقدمها إليه؛

- هنا ستجد مسودات لكل الحلول التي طرحتها، كل ما فكرت به بخصوص كل رسالة حتى انتهيت إلى الحل الذي اعتقدته المناسب، بإمكانك الاحتفاظ بها

- حقا .. أشكرك كثيرا وسعيد جدا بالتعرف عليك

غادر حسن الشقة بعد أن أعطاهما المفاتيح ومنح صاحب البيت باقي مستحقاته؛ نزل ليجد عمر يقف على البوابة بملامح حزينة فتقدم نحوه؛

- ما رأيك با عمر أن تأتي معي سأوفر لك عملا جيدا

- لا يا ولدي أنا لا أرتاح إلا هنا في هذه المدينة حيث ولدت وكبرت وعشت فيها كل ذكرياتي التي هي زادي بحلوها ومرها حتى آخر العمر

- أطال الله عمرك

- ربما لم تمكث معنا سوى أيام قليلة لكن يشهد الله أني أحببتك كأحد أبنائي بل وشعرت أنك أقرب لي منهم

- وأنا أيضا أعتبرك في مثابة والدي رحمه الله وسأظل على

اتصال دائم بك وآتي لزيارتك متى سنحت لي الفرصة لذلك.

10

ودع حسن العم عمر ليتجه إلى سيارته وينطلق في طريق العودة،

توقف عند إشارة المرور ليلتفت إلى الكرسي جانبه حيث وضع

المفكرة ... فضول شديد تملكه ليطّلع عليها فصف السيارة جانبا

وحملها ليقرأ ما جاء فيها ..

قلب صفحاتها بسرعة وعيناه تبحث بين الأسطر حتى وقف عند

جملة: رسالة ونسيت أنني أنثى

عزيزتي سعاد لقد وضعت قدمك فعلا على أول الطريق عندما

حاولت العودة إلى فطرتك التي خلقك الله عليها والتي أصررت

على وأدها طوال سنوات، من الطبيعي أن تفشلي في البداية لكن

يجب عليك ألا تستسلمي وتواصلي بمساعدة أخصائية نفسية

ترشدك إلى الطريق السليم فلن تتمكني بمفردك من إصلاح ما أفسدته تنشئتك غير السوية أنت بحاجة لاستعادة نفسك حينها فقط يمكن أن تفكري في الارتباط وحينها أيضا تستطيعين الاختيار الصحيح بما يتناسب مع شخصيتك وطموحك .

الزواج عزيزتي سكن، مودة ورحمة وليس مجرد صفقة نتبادل فيها المنافع، لا يمكن أن تقبلي بزوج فقط لتهربي من الوحدة فأنت بذلك تحلين مشكلة لتدخلي في سلسلة من المشاكل، لن أدخل في تفاصيل هذا الرجل الذي تقدم لطلبك ولكني سأتحدث عما ذكرته عنه والذي لم يتعد ظروفه وهذا في نظري دليل على أنك لم تهتمي به كشخص يمكن أن يشاركك تفاصيل حياتك بقدر

ما رأيت فيه وفي أسرته ضجيجا يغير سكون وحدتك؛ وليس هذا هو المطلوب في الزواج الناجح ..

أنت الآن لست بحاجة لأحد سوى نفسك فاهتمي واعتني بها وتصالحي معها لأنك حين تنجحين في ذلك سترين الأمور بشكل مختلف ..

اتسعت ابتسامته وإن شعر بنغزة في قلبه هل كان إصراره على استمرار زواجه أيضا بحثا عن أسرة متكاملة دون النظر إلى من تشاركه في بناء هذه الأسرة ..

عاد ليقلب صفحات المذكرة بحثا عن الصغيرة العاشقة :

" صغيرتي أمنية

لست صغيرة على الحب أبدا؛ فكلنا نعيش بالحب وللحب منذ ولادتنا ولا حياة لنا بعيدا عنه..

لن أكون تقليديا وأخبرك أن علاقتك بأستاذك خاطئة منذ البداية؛

لن أقول أنه استغل إعجابك به ومشاعرك البريئة التي لا تخفى على رجل مثله؛

ولن أقول أنه استغل سذاجتك وظروفك الأسرية ليجد فيك صيدا سهلا لرجل خبير؛

ولكن دعيني أتحدث أولا عن حاجتك لوجود رجل في حياتك

رجل يعوضك عن غياب الأب الذي اطمئن لوجودك مع والدته

ليعيش حياته بعيدا عنكما ولم يفكر في أن جدتك ما كانت لتنجح

في تعويض غيابه أبدا رغم كل المجهود الذي تبذله، وزاد الأمر تعقيدا زوج والدتك والذي بدلا أن يعاملك كابنة له ويشعرك بالاهتمام والرعاية سعى لاستغلالك أيضا، واللوم طبعا يقع على عاتق والدتك التي كان يفترض بها أن تقف إلى جوارك لكنها اختارت زوجها إما خوفا على بيتها ورغبة منها في حمايته من الانهيار أو بسبب المشاكل التي بينها وبين والدك والتي أعمتها عن رؤية الحقيقة وصرت بالنسبة لها في جانب العدو ولا يمكن أن تصدق أي شيء يأتي من جانبه ..

ولنعد إلى أستاذك وحبكما الذي يرفضه المجتمع لفارق السن الكبير جدا بينكما؛ فأنت عزيزتي على أعتاب ربيع عمرك وهو يطرق أبواب الخريف، فصلان من الصعب أن نجمع بينهما فرياح

الخريف القوية وزوابعه حتما ستؤثر على أزهار الربيع وتسرع في إذبالها ...

لن أشكك في صدق مشاعركما ولكن أطلب منك أن تفكري على المدى البعيد؛ وارسمي صورة لحياتكما معا ولنقل بعد عشر سنوات مثلا وقد بلغت الخامسة والعشرين وأنت تخطين أول خطواتك في طريق نجاحك وتحقيق أحلامك وطموحاتك وهو على أعتاب السادسة والخمسين اقترب من نهاية مشوار عمله ليبدأ في مرحلة جديدة ربما يبغي فيها راحة وهدوءَ بعيدا عن صخب الحياة..

فكري كيف ستكون الحياة بينكما بعد أن ينتهي الشغف وتنتهي قصائد الحب والغزل وتبدأ مرحلة جديدة في حياتكما...

ربما أنت تقولين الآن أنني رجل تقليدي لا أختلف عن غيري في هذا المجتمع الظالم الذي يكره الحب ولكني أرى الحب باختلاف مراحله وأنت حتى الآن لم تجربي سوى أولى هذه المراحل؛

لهذا سأطلب منك أن تتأني في مشاعرك وتعطيها وقتا كافيا لتنضج وتقرر مصيرها وهذا لن يتسنى لك سوى بالابتعاد عنه، في البعد ستستطيعين تقييم مشاعرك جيدا.

سافري مع جدتك وعيشي في كنف والدك ولو لبعض الوقت؛ تقربي منه وامنحيه الفرصة ليكون لك أبا وصديقا وجربي وجود رجل في حياتك؛ رجل سيمنحك كل الحب والاهتمام دون أن يطلب منك المقابل واستعيني بالله ليربط على قلبك الصغير ويمنحك القوة لتجاوز هذه الأزمة .

أطلق حسن تنهيدة وصورة صغيرته تقفز لتحتل شاشة تفكيره؛ لا شك أنها بحاجة إليه وستزيد حاجتها مع مرور السنوات؛ بل هو الذي بحاجة لوجودها معه ربما أكثر من حاجتها؛ حك جبهته وهو يطالع الأمواج على الشاطئ من زجاج نافذة سيارته : ترى هل سأنجح وأفي بوعدي لها لأستعيدها؟

نظر إلى ساعته ووضع المذكرة جانبا ليستعد للانطلاق من جديد لكن فضوله غلبه فعاد من جديد للبحث بين كلماتها:

إلى صاحب رسالة بقايا رجل

بداية أود أن أحييك على حلمك وقدرتك على التحكم في نفسك في مواجهة مشكلتك .. وهذا بالتأكيد سيعود بشكل إيجابي على ابنتك التي لا ذنب لها فيما اقترفته والدتها ..

لا شك أن ما قامت به زوجتك يعتبر جريمة كبرى في حقك وحق نفسها ودينها ..لن أتحدث عن السبب الذي دفع بها لمثل هذه الأفعال الشنيعة فأيا كانت الأسباب ومهما كان الاختلاف بينكما لا يمكن أن يكون مبررا للخيانة ...

يجب عليك أن تستعيد ثقتك بنفسك فخيانتها ليست بالتأكيد بسبب نقص فيك مهما كانت عيوبك ولكن هي دليل على سوء تربيتها وضعف نفسها وقلة إيمانها ..

ستحتاج للوقت حتى تستطيع البدء من جديد؛ ولا أنصحك طبعا بالعودة لزوجتك فطلاقكما كان تصرفا صائبا منك فمن الصعب أن تنسى خيانتها حتى لو تناسيتها ولن تعود الثقة بينكما لسابق

عهدها وبالتالي الحياة بينكما ستصبح مجموعة من المشاكل

والأزمات المتتابعة ..

أما بالنسبة للطفلة فهي أصعب ما في الأمر خاصة مع سنها

الصغير وحاجتها لوالدتها في هذا السن ..

إذا رأيت أن أمها بالفعل تابت من ذنبها وتغيرت فلا بأس من

تركها معها لسنوات إضافية قبل أن تضمها لحضانتك؛ بشرط أن

تكون تحت وصايتك ومراقبتك؛ وإذا لم تثق في توبتها فالأفضل

أن تأخذها منها والأمر بسيط ولن يحتاج منك لمجهود كبير فقط

إخبار أهلها بالسبب الحقيقي للطلاق وإطلاعهم على الدليل

الذي تملكه ضدها ولن يرفضوا طلبك بضم الصغيرة ..

توقف بسيارته في محطة للاستراحة؛ بعد أن شعر برغبة في شرب فنجان قهوة؛ والحاجة لبعض الراحة بعد ساعتين من القيادة..

وضع الهاتف على الطاولة بعد أن أنهى حديثه مع المحامي وابتسامة راحة أرخت ملامحه وإن كان لا يزال يشعر ببعض القلق؛ هل ستنجح خطته ويستعيد ابنته ويغلق هذه الصفحة من حياته..

كان قد وضع المفكرة أمامه؛ نظر إلى ساعته لا يزال أمامه متسع من الوقت فلم يتبق أمامه سوى ساعة واحدة ليصل إلى مدينته؛ فتح المذكرة يبحث عن باقي الحلول:

إلى صاحبة رسالة البخيل وأنا

ربما تبدو مشكلتك في ظاهرها بسيطة لكنها للأسف معقدة جدا؛

أتفق معك بشدة أن البخل هو أسوء صفة يمكن أن تجدها في إنسان رجلا كان أم امرأة؛ وهو ليس بصفة بقدر ما هو مرض عضال وعلاجه صعب للأسف لأن المريض لا يعترف أصلا بمرضه ويعتبر أن بخله ما هو إلا حرص وترشيد لنفقاته بدليل أنه دوما يجد المبررات المقنعة لتصرفاته البخيلة، وكما قلت لك فعلاجه صعب جدا حتى أن الإسلام رخص للمرأة الأخذ من مال زوجها البخيل دون علمه لتنفقه على بيته بالمعروف..

لكني أرى أيضا في حالتك أنك ساعدتِ في استفحال مرض زوجك حينما سكتِ في البداية عن تصرفاته بل وأعطيته الحل على طبق من ذهب وأنت تنفقين من مالك الخاص على احتياجاتك

واحتياجات بيتك؛ أعلم أنك تصرفت بتلقائية كأي زوجة ولكنه وجد الفرصة للتهرب من مسئولياته المالية ..

الحل الذي سأقدمه لك لن أضمن بالتأكيد نجاعته فالبخيل للأسف من الصعب تغييره؛ ولكن ستكون مجرد محاولات منك نتمنى أن تنجح ولو جزئيا حتى نحافظ على بيتك حيث لمست في رسالتك رغبتك في المحافظة عليه؛

أولا عليك أن تتوقفي عن الإنفاق كما عودته وأرغميه على إحضار احتياجات منزله خاصة ما يتعلق بالصغير وإن اضطررت للحيلة فلا بأس بها كأن تأخذي إجازة من عملك لبعض الوقت وتخبريه أنك تركت العمل نهائيا لأي سبب وبهذا يعلم أن راتبك الذي كان يعتمد عليه لم يعد له وجود فيبدأ في الإنفاق مجبرا ...

ضعيه أمام الأمر الواقع بأن ترسليه دوما لإحضار ما تحتاجينه

بدعوى أنك لا تستطيعين الخروج لبقائك مع الطفل وإذا أحضر

ما لا تريدينه كما فعل مع الحفاظات لا تقبلي به واجعليه يغيرها

وأخبريه أنها تؤدي الصغير .. وكذلك الشأن بالنسبة لكل غرض

يحضره بجودة رديئة ولا تقبلي بمبرراته أبدا..

وإن لم تنجح محاولاتك هذه يمكنك أيضا أن تهدديه بالطلاق ولم

لا تتركين المنزل لبيت أهلك وأصري على شروطك إن أراد عودتك..

فربما حبه لك ولابنه قد يساعد في تغييره ولو قليلا ..

في النهاية لن أنصحك بالطلاق منه ولا بالبقاء معه لأن الأمر راجع

لك ولمدى قدرتك على تحمل طبعه وبخله لكني أتمنى لك

التوفيق فعلا وأتمنى أن تنجحي في علاجه ..

شعر حسن أن هذه المشكلة تمسه بشكل ما؛ فهو أيضا عانى من بخل نور؛ بخل في مشاعرها في اهتمامها كانت دائما جافة ولا تمنحه إلا القليل والقليل جدا رغم ما يغدقها به من حب وتدليل؛ زفر بقوة ثم عاد ليقلب الصفحات وعينيه تتحرك بسرعة على الأسطر حتى وصل إلى هدفه:

رسالة ثمن الخطيئة

عزيزي صاحب الرسالة

لديك مشكلة أكبر من الخطأ الذي وقعت فيه؛ مشكلتك الأهم أنك تخشى الخطأ خوفا من العقاب فقط وتنسى أن هناك أيضا ثواب فكما توجد نار توجد جنة ..

خوفك صار مرضيا وربما يدخل في خانة الوسواس القهري والذي يصعب التخلص منه دون مساعدة لأخصائي نفسي والذي أنصحك باللجوء إليه في أقرب وقت ..

وأعود لخوفك الذي أرى أن السبب فيه هي تربيتك التي نشأت عليها فكما تقول والدك علمك أن الله تعالى يعاقب المخطئ وربما شدد في ذلك حتى صرت تخاف العقاب أكثر من بحثك عن الثواب ..

أحب نفسك .. عندما تحبها سترغب في أن تصل بها لنهاية سعيدة حينها ستكون الاستقامة حبا وليس خوفا فقط ..

أما بالنسبة لمشكلتك وللخطأ الذي وقعت فيه فكل ما تحتاج إليه هو توبة نصوح خالصة لوجه الله تعالى وهو قادر أن يغفر لك

زلاتك وأخطائك؛ ولا تخبر أحدا بما حدث فالله يحب الستر فلا

تفضح نفسك أمام أحد؛ ولا تخشى من المرض ما دمت قد تأكدت

من عدم وجوده بالتحاليل اللازمة

وأذكرك بقوله تعالى:

(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ

يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَار)

نادى على النادل الذي مر بجانبه لينقده ثمن مشروباته قبل أن يغادر الاستراحة ليتابع طريقه؛ كانت المفكرة لا تزال بين يديه ففتحها من جديد ليبحث بين صفحاتها:

رسالة دمروا حياتي

عزيزتي ابتسام

للأسف مشكلة السحر مشكلة منتشرة في مجتمعنا لغياب الوازع الديني لدى البعض ممن أكل الحقد والحسد قلوبهم وجعلهم يسعون لإيذاء غيرهم بأساليب شيطانية، وربما تكون حالتك واحدة من بينهم؛ وربما لا....، فيجب أن تضعي في اعتبارك أن تأخر زواجك قد يكون فعلا بسبب سحر تعطيل الزواج خاصة

كما ذكرت أن لديك أعراضا للسحر كما يمكن أيضا أن يكون بدون سبب واضح فقط لأنها إرادة الله تعالى لحكمة لا يعلمها إلا هو ..

وفي الحالتين فلا بأس من الأخذ بالأسباب واللجوء للعلاج والذي يكون بالقرآن الكريم سواء قرأته بنفسك أم اخترت لذلك شخصا موثوقا منه؛ وأنت بالفعل بدأت الخطوة الأولى صحيحة عندما ذهبت لشيخ فاضل وشعرت بتحسن...

ولكن ربما أصبت بوسواس السحر؛ أو بالخوف من عدم الشفاء الذي يعني أن تبقي بدون زواج لسنوات أخرى .. وهذا الوسواس هو ما دفعك لمزيد من البحث عمن يخلصك من مشكلتك ومن الطبيعي أن تجدي من يستغل خوفك وقلقك ليجني من ورائك أمولا كثيرة؛ فخوفك أعمى عينيك حتى أنك فقدت القدرة على

التمييز بين ما هو صحيح وما هو خاطئ رغم أنك إذا نظرت

للأمور بوعي كنت ستكتشفين من البداية أن هؤلاء مجرد نصابين

ومشعوذين ...

نصيحتي لك عزيزتي أن تتوقفي عن البحث عن العلاج؛ واهتمي

بقراءة القرآن بنفسك خاصة سورة البقرة واحرصي على الأذكار

اليومية ..

وتذكري أن الزواج رزق مقسوم من الله تعالى سيأتي إليك في

الوقت المناسب دون أن تسعي إليه؛ وأكثري من الدعاء

والاستغفار والصلاة لأنها علاجك الوحيد والفعال بإذن الله.

أضاء أنوار الشقة الخالية فشعر بانقباض في صدره وهو يتقدم إلى الداخل؛ لأول مرة يعود إلى بيته ولا تستقبله ياسمين بالأحضان لكم يشعر بالحاجة إليها فهي كل عائلته صوت هاتفه أخرجه من شروده:

- أين أنت صديقي

- دخلت للتو إلى المنزل

- أخيرا؛ إذا حمدا لله على سلامتك

- من يسمعك يعتقد أن غبت دهرا وليس بضعة أيام

- لكنها تحسب دهرا فعلا؛ فأنا أنتظرك على نار فلدي التزامات هامة أريد الاهتمام بها أيضا

- هكذا إذا فسؤالك عني ليس حبا وإنما حاجة

استمر الصديقان في الحديث بعض الوقت عن آخر المستجدات حيث طمأنه عادل عن استقرار الأوضاع بالشركة التي استطاعت المرور من الأزمة دون أن تظهر مشاكلها في السوق ليعود سير الأمور بشكل طبيعي ..

- والآن هل ستترك فريد يرحل هكذا بكل ما اختلس من أموال

- كلا بالطبع

- إذا ؟

- سأخبرك بكل شيء فيما بعد

أنهى المكالمة وقام ليأخذ حماما دافئا قبل أن يخلد للراحة بعض الوقت فلديه الكثير مما يجب عليه القيام به هذا اليوم..

شعور مختلف صاحبه طوال اليوم في عمله؛ كان لديه إحساس بأنه صار خفيفا وكأنه تخلص من حمل ثقيل كان يجثم على صدره ويخنق أنفاسه؛ لم تفارقه الابتسامة رغم القلق الذي يساوره من وقت لآخر في انتظار ما سيحمله له اليوم من مستجدات؛ ولم يكن ليطول انتظاره فسريعا ما جاءه الاتصال الذي ينتظره؛ ارتعاشة صوتها الذي جاهدت لرفعه لتظهر قوتها لم تخف عليه؛ فعلم أنه أصاب الهدف ..

أنهى المكالمة مع نور واسترخى في مقعده وقد اطمئن أنه يسير في الطريق الصحيح لاستعادة ابنته أولا ولتعلم نور وشقيقها أن سكوته لم يكن ضعفا منه في يوم من الأيام بل احتراما لصلة الدم بينهم ..

وقع بصره على صورة خاله التي يحتفظ بها فوق مكتبه فشعر بغصة في حلقه وانقباض في صدره؛ اندفع عادل نحو الداخل بسرعة وعلامات الدهشة تغزو كل ملامحه:

- هل ما سمعته صحيحا أم أنها مجرد مزحة

- وما الذي سمعته ؟

- الشرطة ألقت القبض على فريد بتهمة الاختلاس ... صمت قليلا وهو ينظر إلى حسن الذي التزم الهدوء قبل أن يتابع:

وأنك أنت من أبلغت عنه الشرطة

- ما سمعته صحيح فعلا

- لا أصدق أنك فعلتها حقا ؟ ما الذي جعلك تغير رأيك خاصة بعد تجاوز الأزمة

- كما قلت تجاوزنا الأزمة ولم يعد لخبر كهذا أي تأثير علينا في السوق؛ كما أنني لم أخبرك من قبل أني سأتنازل عن حقي

- حتما ستتصل بك نور ووالدتها وربما يطلبان منك التنازل عن الدعوى

- نور اتصلت بالفعل وهي غاضبة؛ وكالعادة لا تزال تصر على أنها مجرد مؤامرة مني للانتقام من أخيها

- بم تفكر أشعر أنك تخفي شيئا ما

قام من مكتبه حاملا سلسلة مفاتحه ليغادر الشركة والابتسامة المطمئنة مرسومة على شفتيه: ستعرف كل شيء في موعده عزيزي.

أغلق القصة بعد أن انتبه أن ياسمين قد غطت في نوم عميق؛ انحنى ليقبل جبينها ويحكم الغطاء على جسدها الصغير قبل أن يغادر الغرفة؛ لم يتوقع أبدا أن الأمور ستسير لصالحه بشكل سريع ففي نفس اليوم الذي ألقي فيه القبض على فريد جاءه اتصال من نور للمرة الثانية ولكن هذه المرة بنبرة مختلفة حملت الكثير من الانكسار والرجاء، كانت قد تأكدت من أن التهمة ستبث حتما على شقيقها وأن حسن يمتلك فعلا أدلة قوية لإدانته وهو وجد الفرصة التي بحث عنها ليتفاوض معها تنازله عن الدعوى مقابل تنازلها عن حضانة ياسمين بشكل نهائي وإعادة فريد لكل ما اختلسه من أموال ..

ونجح في مسعاه وإن لم يستعد كل ما سرق منه لكنه استعاد أهم شيء وهي ابنته ..

حمل مذكرة الزيتوني التي انشغل عنها ليبحث عن ما تبقى من حلول للرسائل التي قرأها...

عزيزتي صاحبة رسالة عندما تنهار القدوة؛

لا تتخيلين مدى الألم الذي شعرت به وأنا أقرأ حروفك الموجعة..

فمشكلتك صعبة جدا؛ صعبة لأن المتسبب بها هو الذي من المفترض أن يكون لك ولأخواتك ولصديقتك أيضا درع الحماية...

وللأسف ما زال مجتمعنا يرفض كشف الغطاء عن مثل هاته الجرائم بدعوى الحفاظ على الأسرة من التفكك، وطبعا الخوف من الفضيحة واتهام الأسرة بانعدام الأخلاق ومفهوم الستر عند

الابتلاء.. رغم أن الأسرة قد دمرت بالفعل جراء هذه الجريمة التي لا يتقبلها لا الدين ولا العرف ..

فالمجرمين هنا تعديا على حدود الله بل ارتكبا كبيرة من أشد الكبائر بعد الكفر بالله تعالى تخالف حتى الفطرة التي خُلقنا عليها؛ فكيف لأب أو أخ أو خال أو عم أن ينتهك حرمته ويشوه لدى الضحية كل المفاهيم السوية عن الأسرة لتصبح فريسة لعقد نفسية يصعب تجاوزها فضلا عن حرمانها من أن تكون زوجة وأما سوية، فمثل هذه التصرفات يكون لها أبعد الأثر على نفسية الفتاة التي تصير عرضة للمشاكل النفسية المزمنة.

لا أستطيع أن ألومكما على الصمت فهي ثقافة مجتمع للأسف يخشى الفضيحة أكثر من اهتمامه بالالتزام بما أمر به الله تعالى ..

لكنه ليس الحل بل هو أحد الأسباب الذي جعل الجناة يستمرون في أفعالهم المشينة لأنهم لا يخشون العقاب طالما الجميع يلتزم الصمت والتجاهل كما فعلت أم صديقتك ..أو ربما هناك من يتهم الضحية أنها السبب الرئيسي لما يحدث لها رغم كونها المتضرر الوحيد من جريمة لا يسأل عنها ولا يعاقب عليها سوى مرتكبها ..

أولا يجب عليكما كسر حاجز الصمت والمواجهة .. لكن السؤال المطروح كيف يتم ذلك دون خسائر لكما قبل أي شخص آخر ؟

أعتقد أنه يمكنكما اللجوء لشخص قريب جدا وموثوق فيه يمكنكما الحديث معه دون حرج؛

في حالتك عليك أن تخبري والدتك بالأمر واطلبي منها أن تراقب تصرفات والدك قبل أن تواجهه حتى تتأكد من صحة كلامك وإن استدعى الأمر فليس من الصعب تسجيل تجاوزاته مع توفر الهواتف الذكية؛ وقبل أن تتحدثي مع والدتك يجب أن تكون شقيقتك الكبرى على اتفاق وتضامن معك فعليكم جميعا أن تواجهوا المشكلة مجتمعين؛

من جهة أخرى يجب على والدتك مواجهته بالأمر بعيدا عنكم وتهديده بفضحه إن استمر في أفعاله؛ وأظنه كأمثاله سيخشى الفضيحة ..

هذا من جهة من جهة أخرى عليكم تجنب ترك شقيقتك

الصغرى معه بمفردها خاصة وأنها لا تدرك حتى الآن ما يحدث

والأفضل ألا تعلم حرصا على سلامتها النفسية ..

فإن لم تؤت محاولاتكم هذه بنتيجة إيجابية ربما تلجأ والدتك

لشخص موثوق به من داخل العائلة للمساعدة ..

فإن فشلت كل المحاولات فليس هناك حل سوى الانفصال؛ فعلى

والدتك أن تتخذ موقفا حازما معه والطلاق في هذه الحالة لن

يكون تدميرا للأسرة بقدر ما سيكون حماية لها من الضياع؛ وربما

تحتاجون أيضا لمساعدة نفسية لتجاوز هذه الأزمة وأظن أن

والدك هو الأول الذي بحاجة لعلاج نفسي فأفعاله دليل على

وجود خلل في تكوينه النفسي ومع أول مشكلة وهي مرض

والدتك وطول فترة علاجها جعل هذا الخلل يظهر للسطح..

أما صديقتك فعليها أن تتخذ موقفا حازما وتواجه والدتها أولا

بقوة؛ وتهددها بفضح ما يحدث معها للجميع وربما اللجوء إلى

الشرطة إن لزم الأمر لحمايتها وهذا حتى تجبرها على الوقوف إلى

جانبها، وأيضا تترك المواجهة لتكون بين والدتها وخالها ..

وإن استمرت والدتها في التجاهل فليس أمامها من حل سوى

اللجوء لشخص موثوق به من عائلتها والأفضل أن يكون أحد

أخوالها أو خالاتها إن وجد ليتدخل في الأمر ..

بالإضافة لكل ذلك عليها تجنب البقاء معه في مكان واحد

بمفردها؛ فإذا حضر لمنزلهم تبقى برفقة والدتها أو شقيقها أو

حتى مع الخادمة؛ وإن اضطرت لدخول غرفتها تغلقها عليها بالمفتاح...

لا أعلم إن كان لصديقتك عائلة تستطيع اللجوء إليها وإلا لنصحتها بترك المنزل والعيش في كنفها حتى توفر لها الحماية التي تفتقر إليها في بيتها؛

وسأستغل رسالتك لأوجه نداءَ أو تحذيرا لكل العائلات والأسر؛

انتبهوا لأبنائكم وحاولوا أن تتجنبوا كل ما من شأنه أن يساعد ضعاف النفوس على القيام بمثل هذه الجرائم اللاأخلاقية ولا تنسوا تعاليم الإسلام التي تحث على التفريق بين الذكور والإناث في المضاجع واحترام الضوابط بينهم حتى وإن كانوا من المحارم حفظا لهم جميعا من الوقوع في الخطيئة.

إلى الشاب الحالم :

مشكلتك عزيزي ليست مخجلة وبالتأكيد لست وحدك من تعاني منها لكنك على الأقل تعرف سببها الذي يتلخص في عدم ثقتك في نفسك والتي اكتسبتها من معاملة والدك لك؛ لذلك لجأت للعيش داخل قوقعة أحلامك لتعوض شعورك بالنقص ولتحقق كل ما لا ترى أنك قادر على تحقيقه في الحقيقة وما كانت أحلامك لتكون مشكلة حقيقية لولا أنها زادت عن الحد المعقول فصرت أسيرا لديها تتحكم بك هي بدل أن تتحكم أنت بها ..

وبمعرفتك لسبب مشكلتك تكون قد خطوت خطوة هامة في

طريق العلاج الذي قد لا تحتاج فيه بالفعل لإخصائي نفسي إذا استطعت التحلي ببعض القوة والعزيمة وحسن التصرف ..

أولا حاول أن تحدد وقتا لهذه الأحلام لا تتجاوزه، وبعدها تعود لأرض الواقع ..

واجعل من هذه الأحلام طاقة محفزة لك لتحقيق أهدافك في الحياة بحيث تقننها وتفكر فيما يمكنك تحقيقه وبذلك تحفز عقلك لابتكار الطرق التي تساعدك على النجاح..

لا شك أن أحلامك أكسبتك خيالا واسعا يمكنك أن تستغله في كتابة بعض القصص ولا بأس من أن تشغل وقتك في محاولة تحسين أسلوبك في الكتابة فقد تكون مستقبل كاتب كبير ومتميز بإذن الله ..

بالإضافة إلى كل ما ذكرته سابقا يجب عليك أن تعزز ثقتك أكثر

بنفسك وبقدراتك وتعلم أنك قادر بالفعل على تحقيق أهدافك

إن سعيت لها وبذلت جهدا في سبيل ذلك...

الخاتمة

اتجه عبد السلام إلى الشرفة ليفتحها على مصراعيها ويخرج باسطا ذراعيه يستنشق نسمات الهواء الباردة؛ لا يعلم لم يحب هذه الشقة ولا يرتاح في غيرها منذ أن استأجرها لأول مرة منذ سنوات طويلة، راحة جعلته لا يغيرها أبدا ..

لم يصدق أنه سيعود إليها مجددا عندما اتصل به صاحب الشقة ليخبره أن المستأجر سيغادر اليوم؛ فأتى إليه سريعا كان مشتاقا لمعانقة جدرانها كحبيب طال غيابه عن معشوقته .

عاد إلى الداخل بعد أن شعر ببرودة الجو جلس على الأريكة واتسعت ابتسامته حين لمح تلك الرسائل التي عثر عليها المستأجر السابق وغلبه فضوله للاضطلاع عليها .

حملها بين يديه ليقلبها وهو يتساءل ترى كم رسالة وصلت حتى الآن إلى الجريدة لا شك أنهم مئات أو ربما آلاف ومن يدري ربما لا توجد رسائل فالناس حتما نسوني بعد خمس سنوات من الغياب ..

ألقى الرسائل فوق الطاولة وعاد برأسه إلى الخلف مغمض العينين يسترجع ذكريات خمس سنوات مرت عليه كأنها خمسمائة عام ..

فتح عينيه بعد أن داعبته أشعة الشمس المتسللة من نافذة الغرفة تململ في جلسته التي نام عليها شعر بتيبس أطرافه جراء نومه جالسا فوق الأريكة ..

قام بتثاقل نحو الحمام ليحصل على حمام دافئ يعيد إليه الحيوية إلى جسده قبل أن يتجه إلى الجريدة ....

إلى اللقاء مع رسائل جديدة

نزهة النميلي

تمت والحمد لله في 20 /2019/06